كَيْفَ تَمْلِكُ قُصُوراً فِي الجنَّة؟

تأليف

د. محمد بن إبراهيم النعيم

-رحمه الله-

إهداء من القلب:

لكل من جرب بناء بيت

لكل مقاول بناء

لكل مهندس معماري

لكل مهندس مدني

لكل مسلم ومسلمة

المقدمة:

الحمد لله الذي أنار طريق الهداية في قلوب عباده المتقين، وحبب إليهم مجاهدة الهوى والشيطان الرجيم، وبَصَّرهم بحقيقية الدنيا حتى أيقنوا أنهم عنها راحلين، فجدُّوا طوال حياتهم لإرضاء خالقهم، وتأمين مستقبلهم الحقيقي، ومقرهم النهائي، ومسكنهم الأبدي في جنات النعيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، إمام المتقين وسيد الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آل بيته الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد،

فإن الكتابة في موضوع تستفيد منه شريحة كبرى من المجتمع يعتبر مِنَّة وتوفيقا ربانيا يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، ومتى بذل المرء الأسباب لذلك، فإن توفيق الله سيحالفه ويؤازره بإذن الله تعالى.

قد تبدو للإنسان فكرة ، فإن لم يبادر بتقييدها ليبدأ في إنمائها فإنها ستتلاشى في زحمة الأعمال من فكره ومخيلته، لقد بدأت فكرة هذا الكتاب من عبارة كتبتها منذ سنين عديدة في دفتر سميته دفتر الأفكار حينما قرأت حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ: (من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضها، بنى الله له بيتا في الجنة) [(١)]، فكتبت تحت ذلك الحديث: بيوت الجنة بالعمل، وظلت تلك العبارة المكتوبة سنين عديدة وأنا أمر عليها كلما قلبت صفحات ذلك الدفتر، إلى أن ألهمني الله ذات يوم سؤالا طرحته على نفسي فقلت: أنا لا أملك المال الكافي لبناء مسجد كما يفعل الأغنياء، فما البديل عن ذلك؟ وما الأعمال الأخرى التي ثوابها بيت في الجنة؟

ومن ذلك السؤال بدأ بحث هذا الموضوع الذي رأيت بعد جمع أوراقه وطرحه عدة مرات في أماكن متفرقة أنه أفاد كثيرا من الناس مما لم أكن أتوقعه، والذي زاد دهشتي أنني كلما طرحته على محفل من الناس، أثنوا عليه خيرا، وطلبوا تصوير أوراقه، ثم تكاثرت الاقتراحات على أن يخرج الموضوع في كتاب ليستفيد منه عامة الناس، فترددت كثيرا في هذا الأمر، لأني رأيته ليس بجديد، ولولا كثرة الإلحاح والتذكير بثواب الصدقة

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني– (٤٦/٣)، والبخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣)، والترمذي (٣١٨)، والنسائي (٦٨٨)، وابن ماجه (٧٣٨)، والدارمي (١٣٩٢)، وابن حبان (١٦١٠)، وابن خزيمة (١٢٩١)، والبيهقي (٤٠٨٩)، وأبو يعلى (٤٠١٨).

الجارية غير المنقطعة لما بادرت إلى هذه الخطوة الجريئة، فبدأت الكتابة فيه، وبسبب تداخل الأفكار والموضوعات عليَّ، أجَّلتُه، وكتبت في موضوع رأيت أنه أكثر أهمية بالنسبة لي هو: كيف تطيل عمرك الإنتاجي؟ وكان ذلك كتابي الأول – ولله الحمد والمنّة – ثم أخرجت كتاب "كيف ترفع درجتك في الجنة؟" ثم كتاب "كيف تحظى بدعاء النبي ﷺ؟" ثم كتاب "أمنيات الموتى"، ثم كتاب "كيف تنجو من كرب الصراط؟" ثم كتاب "كيف تثقل ميزانك؟" وقد أشعلَتْ تلك الكتب هِمتي حماسا، فهرعت إلى إكمال كتاب كيف تملك قصورا في الجنة – الذي تركته منذ قرابة عشرين سنة – خاصة بعد رؤيا رأيتها تحثني على إكمال كتبي التي ألفتها وتوقفت عن إتمامها.

اقتصرت في بحثي كعادتي على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي صححها أو حسنها علماء الحديث وشراح كتب السنة رحمهم الله تعالى كابن حجر العسقلاني والسيوطي والمناوي والألباني والأرناؤط وغيرهم جزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وذكرت الأحاديث من مصادرها الحديثية وبينت درجة ما كان منها في غير الصحيحين، وما وضعته في الأحاديث بين شرطتين فهو من كلامي تفسيرا أو نحوه

يتكون الكتاب من مقدمة وفصلين، اشتمل الفصل الأول على تسعة مباحث عن قصور الجنة من حيث إمكانية المؤمن من تكثير قصوره في الجنة، والحاجة إلى الإكثار من هذه القصور، وشرف الحصول عليها، وسعتها، وتفاضلها، ومادة بنائها، وجمالها، وفخامتها، والمسئول عن بنائها، وتناول الفصل الثاني أهم الأعمال التي يحظى فاعلها بقصر في الجنة، ثم ختم الكتاب بخلاصة وخاتمة.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن لا يحرمنا هذه القصور، وأن يعيننا على التسابق إليها والدلالة عليها، وأن يجعل هذا الكتاب خالصا لوجهه الكريم، وأن يضاعف مثوبة كل من سعى في نشره، فإن الدال على الخير كفاعله، وإني سائل كل قارئ انتفع من هذا الكتاب أن يدعو لي ولوالديَّ ولأسرتي ولمشايخي والمسلمين أجمعين، وأُبشِّر من فعل ذلك بأن النبي ﷺ قال: (من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل) [٢]، والحمد لله رب العالمين.

---

(٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٧٤/١٤)، ومسلم واللفظ له عن أبي الدرداء ﷺ (٢٧٣٣)، وأبو داود (١٥٣٤)، وابن ماجه (٢٨٩٥)، وابن حبان (٩٨٩)، والبيهقي (٦٢٢٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٢٥).

وكتبه: أبو عمر

الأحساء ١٤٢٨/٦/١٨هـ

الفصل الأول

قصور الجنة

المبحث الأول: هل يمكن للمؤمن تكثير قصوره في الجنة؟

المبحث الثاني: الحاجة إلى إكثار القصور في الجنة

المبحث الثالث: شرف الحصول على قصر في الجنة

المبحث الرابع: سعة قصور الجنة

المبحث الخامس: تفاضل قصور الجنة

المبحث السادس: مادة بناء قصور الجنة

المبحث السابع: جمال قصور الجنة

المبحث الثامن: فخامة قصور الجنة

المبحث التاسع: القائمون على بناء قصور الجنة

تمهيد:

جاءت النصوص الشرعية بذكر أنواع مساكن الجنة، فقد ذكر الرب جل وعلا الخيام في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، وذكر البيوت في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]، وذكر القصور في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾ [الفرقان: ١٠]، وذكر الغرف في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

والخيمة: بيت من بيوت الأعراب مستدير يبنيه الأعراب من عيدان الشجر [٣].

والبيت في اللّغة : المسكن، وهو كلّ ما كان له جدار وسقف، وإن لم يكن به ساكن، ويطلق أيضاً على البيت الشّقّة، ويجمع البيت على أبياتٍ وبيوتٍ، ويطلق البيت على القصر، ومنه قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ (بشّروا خديجة ببيتٍ في الجنّة من قصبٍ)، قال في اللّسان: يعني بشّروها بقصرٍ من لؤلؤةٍ مجوّفةٍ [٤].

والقصر هو المنزل، وقيل: كل بيت من حجر، قرشية، سمي بذلك لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس، وجمعه قصور، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً ﴾، والمقصورة: الدار الواسعة المحصنة، وقيل: هي أصغر من الدار[٥]. وقال الرازي: القصر هو المسكن الرفيع [٦]، وقال ابن عاشور القصور : المباني العظيمة الواسعة [٧].

والغرف هي القصور الشاهقة [٨]، وقال ابن عاشور: الغرفة البيت المعتلي يصعد

---

(٣) لسان العرب لابن منظور (الجزء الثاني عشر).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (الجزء الثامن).

(٥) لسان العرب لابن منظور (الجزء الثاني عشر).

(٦) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي (٤٨/٢٤).

(٧) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٣١/١٨).

(٨) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير(١٥٣/٥).

إليه بدرج، وهو أعزّ منزلاً من البيت الأرضي [٩].

والمنزل لغةً : اسم مكان النّزول، وفي بعض الأعراف: هو اسم لما يشتمل على بيوتٍ، وصحنٍ مسقّفٍ ومطبخٍ يسكنه الرّجل بعياله، وهو دون الدّار وفوق البيت، وأقلّه بيتان أو ثلاثة [١٠].

والدّار لغةً: اسم لما اشتمل على بيوتٍ ومنازل وصحنٍ غير مسقّفٍ، واسم الدّار يتناول العرصة والبناء جميعاً، والفرق بين البيت والدّار: أنّ الدّار تشتمل على بيوتٍ ومنازل [١١].

يتناول هذا الفصل كل ما يتعلق بمساكن الجنة من حيث إمكانية المؤمن من تكثير قصوره في الجنة، والحاجة إلى الإكثار من هذه القصور، وشرف الحصول عليها، وسعتها، وتفاضلها، ومادة بنائها، وجمالها، وفخامتها، والمسئول عن بنائها، سائلا المولى القدير أن لا يحرمنا إياها.

المبحث الأول

هل يمكن للمؤمن تكثير قصوره في الجنة؟

تَرِدُ بعض التساؤلات تتعلق بقصور الجنة، هل للمؤمن أكثر من قصر في الجنة؟ وهل يمكنه في هذه الحياة من زيادة عدد قصوره في الجنة؟ لا سيما أن مجموعة من الأحاديث يشير ظاهرها إلى أن المؤمن ليس له سوى قصر واحد في الجنة، ومن ذلك:

الحديث الأول- ما رواه أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ قال: (إن المؤمن إذا وُضع في قبره أتاه ملك فيقول له: ما كنت تعبد؟ فَإِنْ اللَّهُ هَدَاهُ قال: كنت أعبد الله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما يُسْأَلُ عن شيء غيرها، فَيُنْطَلَقُ به إلى بيت كان له في النار، فيقال له: هذا بيتك كان لك في النار ولكن الله عصمك ورحمك **فأبدلك به بيتا** في الجنة، فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسْكُنْ، وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فَيَنْتَهِرُهُ فيقول له: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيقال له: فما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول:

---

(٩) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور(٨٤/١٩).

(١٠) الموسوعة الفقهية الكويتية (الجزء الثامن).

(١١) المرجع السابق (الجزء الثامن).

كنت أقول ما يقول الناس، فيضربه بِمِطْرَاقٍ من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين) (١٢).

أقول: لعل معنى قول المَلَك عليه السلام: (ولكن الله عصمك ورحمك، فأبدلك به بيتا في الجنة)، أن معنى البيت هنا هو المكان والمقعد وليس القصر، ويشير إلى هذا المعنى رواية أخرى لهذا الحديث وأحاديث نبوية أخرى منها:

(١) ما رواه أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال :(العبد إذا وضع في قبره وَتُوُلِّيَ وذهب أصحابه؛ حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة)، قال: النبي ﷺ (فيراهما جميعا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) (١٣).

(٢) وما رواه عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) (١٤).

(٣) وما رواه أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا يدخل أحد الجنة، إلا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة) (١٥).

الحديث الثاني- ما رواه سمرة بن جندب ﷺ عن رؤيا رآها رسول الله ﷺ توضح أن للنبي ﷺ قصر واحد فقط، فكان مما قاله ﷺ في تلك الرؤيا: (فانطلقنا فانتهينا

---

(١٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٢٧/٨)، والبخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)، وأبو داود واللفظ له (٤٧٥١).

(١٣) سبق تخريجه في الحاشية السابقة واللفظ للبخاري.

(١٤) رواه الإمام مالك (٥٦٤)، وأحمد –الفتح الرباني– (١٠٧/٨)، والبخاري واللفظ له (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦)، والترمذي (١٠٧٢)، والنسائي (٢٠٧٠)، وابن ماجه (٤٢٧٠)، وابن حبان (٣١٣٠)، وأبو يعلى (٥٨٣٠).

(١٥) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٦١/٢٤)، والبخاري واللفظ له (٦٥٦٩)، وابن حبان (٧٤٥١)، والحاكم (٣٦٢٩).

إلى روضة عظيمة لم أرَ روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لي: ارق فيها، قال: فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا، فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، قال: وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، قال: قالا لي: هذه جنة عدن وهذاك منزلك، قال: فسما بصري صعدا؛ فإذا قصر مثل الربابة البيضاء – أي السحابة البيضاء – قال: قالا لي: **هذاك منزلك**، قال: قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله، قالا: أما الآن فلا؛ وأنت داخله، قال: قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجبا، فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي: ... الحديث) [١٦].

أقول: لا يعني رؤية النبي ﷺ لقصره في الجنة أن ذلك هو قصره الوحيد، وإنما هو أحد قصوره، ويؤكد هذا المعنى ما وعد الله تبارك وتعالى نبيه وصفيه ﷺ بالقصور الكثيرة حيث قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾ [الفرقان: ١٠].

وكذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: رأى رسول الله ﷺ ما يُفتح على أمته من بعده فَسُرَ بذلك فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى{٤} وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى{٥}﴾ [الضحى: ٤-٥] قال: فأعطاه ألف قصر في الجنة من لؤلؤ، ترابه مسك، في كل قصر منها ما ينبغي له من الأزواج والخدم[١٧].

الحديث الثالث- روى أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يَخْلُصُ المؤمنون من النار، فَيُحْبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار، فَيُقَصُّ لبعضهم من بعض مَظَالِمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس

(١٦) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (٢١٢/١٩)، والبخاري واللفظ له (٧٠٤٧)، وابن حبان (٦٥٥)، وابن خزيمة (٩٤٢).

(١٧) أخرجه ابن جرير، والطبراني في الكبير (١٠٦٥٠)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩/٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٩٠).

محمد بيده لأحدهم أَهْدَى **بِمَنْزِلِهِ** في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا) [١٨].

أقول: قوله ﷺ (أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ) لا يدل على أن هذا هو منزله الوحيد، وإنما يشير إلى أن المؤمن سيعرف منازله وقصوره في الجنة دون تكلف، كحال من رآها من قبل، بل هو رآها حقيقة وهو في قبره حينما كانت تعرض عليه بالغداة والعشي، كما جاء موضحا في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه سابق الذكر [١٩]، فهو يعرفها ويعرف مكانها كما يعرف بيوته التي في الدنيا، وقد فهم علماء التفسير ذلك أيضا من قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]، فقال مجاهد رحمه الله تعالى: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا اهـ [٢٠].

الحديث الرابع- أن النبي ﷺ لم يبشر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها إلا ببيت واحد في الجنة مع العلم بأنها أفضل زوجاته وأم أولاده، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب – شكٌ من الراوي – فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبَشِّرها **ببيت** في الجنة من قَصَب، لا صخب فيه ولا نصب [٢١].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قَالَ أَبُو بَكْر الْإِسْكَاف فِي فَوَائِد الْأَخْبَار: الْمُرَاد بِهِ بَيْت زَائِد عَلَى مَا أَعَدَّ الله لَهَا مِنْ ثَوَاب عَمَلهَا، وَلِهَذَا قَالَ: (لَا نَصَب فِيهِ) أَيْ لَمْ تَتْعَب بِسَبَبِهِ، قَالَ السُّهَيْلِيّ: لِذِكْرِ الْبَيْت مَعْنًى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام مُنْفَرِدَة بِهِ، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بَعْث النَّبِيّ ﷺ بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها، قال: وجزاء الفعل يُذْكَر غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر

(١٨) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٥٦/٢٤)، والبخاري واللفظ له (٦٥٣٥)، وابن حبان (٧٤٣٤)، والحاكم (٣٣٤٩)، وأبو يعلى (١١٨٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٨٦).

(١٩) أنظر الحاشية رقم (٦).

(٢٠) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٣٢٨/٥).

(٢١) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٣٩/٢٠)، والبخاري واللفظ له (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٢)، والترمذي (٣٨٧٦)، وابن ماجه (١٩٩٧)، وابن حبان (٧٠٠٩)، والحاكم (٤٨٥١)، وأبو يعلى (٦٠٨٩)، والطبراني في الكبير (١٠).

انتهى، وفي ذكر البيت معنى آخر؛ لِأَنَّ مَرْجِع أهل بيت النبي ﷺ إليها، لِمَا ثَبَتَ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ قَالَتْ أُمّ سَلَمَة: "لَمَّا نَزَلَتْ دعا النبي ﷺ فاطمة وَعَلِيًّا والحسن والحسين فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي) الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لِأَنَّ الْحَسَنَيْنِ من فاطمة، وفاطمة بنتها، وَعَلِيّ نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها اهـ [٢٢].

الحديث الخامس – روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا له منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار؛ ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [٢٣].

أقول: لا يدل قول النبي ﷺ (منزل في الجنة) أن له بيتا واحدا، وإنما تعني منزلة ومقعدا، ويشير إلى هذا المعنى ما ذكر من تعليل عند الحديث الأول.

وتأمل في الحديث أن أهل الجنة كلهم وليس واحدا منهم سيرثون منزل ومكان ذلك الذي أدخل النار، مما يدل على كثرة قصوره التي خلَّفها حتى أنها وزعت على أهل الجنة، وبالتالي سيكون للمؤمن أكثر من منزل؛ المنزل الذي أُعدَّ له والمنزل الذي ورثه ممن أُدخل النار وحُرِمَ من الجنة.

الحديث السادس- عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا لشاب من قريش، قلت: لمن؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، قال: فلولا ما عَلِمْتُ من غَيْرَتِكَ لدخلته) فقال عمر: عليك يا رسول الله أغار؟ [٢٤].

قلت: هذا الحديث ليس فيه دلالة واضحة لا من قريب ولا من بعيد بأن هذا القصر هو الوحيد الذي سيملكه عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك من عدة أمور أهمها:

١- أنه جاء عن النبي ﷺ أن أدنى الناس منزلة في الجنة من يقال له: تمنى؛ فيتمنى، فيعطى مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا وعشرة أضعافه، وأن معظم ملوك الدنيا قد

---

(٢٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٧١/٧ ح ٣٨١٩).

(٢٣) رواه ابن ماجه (٤٣٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٩٩).

(٢٤) رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني– (٧٢/٢٣)، والبخاري (٧٠٢٤)، ومسلم (٢٣٩٤)، والترمذي (٣٦٨٨)، وابن حبان (٥٤)، وأبو يعلى (٣٧٣٦).

ملكوا العديد من القصور، فسيتمنى أن يكون مثلهم، ثم سيعطى عشرة أضعاف ذلك.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار، رجل يخرج منها زحفا، فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب فيدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمن فيتمنى، فيقال له: لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟) قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه [٢٥].

٢- كما روى عبد الله بن مسعود ﷺ حديثا آخر وصف فيه حال آخر من سيدخل الجنة، وأنه سيعطى العديد من القصور في مُلكٍ يحتاج إلى قطعه نحو مئة عام، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (.... قال: فيدخل الجنة ويرى أو يُرفع له منزلٌ أمام ذلك كأنَّ ما هو فيه إليه حُلُم، فيقول: رب أعطني ذلك **المنزل**، فيقول له: لعلك إن أعطيتُكه تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، وأنى منزل أحسن منه؟ فيعطاه فينزله، ويرى أمام ذلك منزلا كأن ما هو فيه بالنسبة إليه حلم، قال: رب أعطني ذلك **المنزل**، فيقول الله تبارك وتعالى له: فلعلك إن أعطيتُكَهُ تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، وأنى منزل أحسن منه؟ فيعطاه فينزله، قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر، كأنما هو إليه حلم، فيقول: أعطني ذلك **المنزل**، فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتُكَه تسأل غيره؟ قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، ثم يسكت، فيقول الله جل ذكره: ما لك لا تسأل؟ فيقول: رب قد سألتك حتى استحييتك، وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله جل ذكره: ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أتهزأُ بي وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب تبارك وتعالى من قوله.... الحديث) [٢٦].

٣- وروى المغيرة بن شعبة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (سأل موسى ربه: ما أدنى

---

(٢٥) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٧٤/٢٤)، والبخاري (٦٥٧١)، ومسلم واللفظ له (١٨٦)، والترمذي (٢٥٩٥)، وابن ماجه (٤٣٣٩)، وابن حبان (٧٤٢٧)، وأبو يعلى (٤٩٨٠)، والطبراني في الكبير (٩٧٧٥).

(٢٦) رواه ابن أبي الدنيا، والحاكم (٨٧٥١)، والطبراني في الكبير (٩٧٦٣)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: وأحد طرق الطبراني صحيح واللفظ له اهـ (٥٠٦/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٠٤).

أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أُدْخِلَ أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادْخُلْ الجنة، فيقول: أَيْ رَبِّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فيقول: رضيت رب... الحديث) [٢٧].

فإذا كان ذلك حال أدنى الناس منزلة، فكيف بحال عمر بن الخطاب ﷺ الذي بُشر بالدرجة الرفيعة في الجنة؟ حيث روى أبو سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم) [٢٨].

٤- وجاء عن النبي ﷺ أن المجاهد سينال قصرا في ربض الجنة وقصرا في وسط الجنة وقصرا في أعلى الجنة، إضافة إلى وجود ما يربو على عشرين عمل من الأعمال الصالحة التي يثاب فاعلها بقصر في الجنة، سيتٍ‍ٍٍم ذكرها في الفصل الثاني، ولا شك أن عمر بن الخطاب ﷺ قد عمل بكل تلك الأعمال أو جلها ولم يتركها، وسيثاب بعددها قصورا بإذن الله تعالى.

ونخلص من ذلك أن كل مؤمن سيملك أكثر من قصر في الجنة ولله الحمد، وبإمكانه أن يزيد عدد هذه القصور طالما هو في هذه الدنيا يعمل الأعمال الصالحة؛ خصوصا تلك التي حث عليها الشارع الحكيم وبيَّن أن ثوابها قصر من قصور الجنة.

المبحث الثاني

الحاجة إلى إكثار القصور في الجنة

إن معظم الناس يحرصون على امتلاك بيوت فارهة، ويسألون عن أفضل السبل لذلك، ويغامرون من أجل تحصيلها ولو بالاستدانة، ويسألون كل من جرَّبَ البناء عن مشكلات ومصاعب البناء، وعن أفضل المكاتب الهندسية التي تصمم وتعرض أجمل

(٢٧) رواه الإمام مسلم واللفظ له (١٨٩)، والترمذي (٣١٩٨)، وابن حبان (٧٤٢٦)، والطبراني في الكبير (٩٨٩).

(٢٨) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (٢٤/١٩٣)، والترمذي واللفظ له (٣٦٥٨)، وأبو داود (٣٩٨٧)، وابن ماجه (٩٦)، وأبو يعلى (١١٧٨)، والطبراني في الكبير (٢٠٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٣٠).

المخططات، وعن أفضل المؤسسات التي تبيع أجود مواد البناء، ويتقبلون في سبيل ذلك آراء الناس وانتقاداتهم بصدر رحب، ويشكرونهم عليها، لأنهم يعلمون أن المُنتقِد ما هو إلا ناصح لهم ومحب.

ولكننا في مقابل ذلك نجد القليل ممن يسأل عن بيوت الآخرة وقصورها، وعن سبل تحصيلها، وكيفية الإكثار منها، وقد يعتبرون من ُيحدِّث عنها ويدعو إليها شخصا منطويا على نفسه، ويعيش أحلاما وردية، ولا يعايش أحداث العصر وتطورات الحياة.

كم سيحتاج يا ترى مَنْ أراد بناء بيت في الدنيا من مبالغ؟ لا شك أنه سيحتاج إلى سنين عديدة لجمع تكاليف البناء، قد تُقدَّر بحصيلة رواتب العمر كله، إن كان ذا دخل محدود، أضف إلى ذلك احتمال أن يغشه المقاول فلا يحسن البناء، ثم لا يلبث البيت حتى يتشقق بعد بضع سنين وتظهر عيوبه أو يقدم طرازه، فيزهده إذا رأى خيرا منه، فتراوده نفسه بتجديده أو بيعه لبناء بيت آخر خير منه، ليعود إلى همٍ آخر وشقاء جديد.

أما قصور الجنة فطرقها مُيَسَّرة ومجانية في أغلبها، فلا تحتاج إلى قرض أو استدانة، ولا تكلفك من حياتك شيئا، سوى خشية الله جل وعلا ومجاهدة النفس بالعمل الصالح الذي سنذكر بعضه في الفصل الثاني من الكتاب.

فالحصول على قصر في الجنة أمر ميسور، ومواد بنائه متوفرة ورخيصة الآن، ما دامت الروح في الجسد، وهذا الكتاب ما هو إلا مرشد ودليل لبعض السبل الميسرة إلى بناء القصور في الدار الآخرة، فهل ستحرص على قراءته والعمل بما فيه؟

هناك عدة أسباب تدعو المسلم للمسارعة إلى الإكثار من بناء القصور في الدار الآخرة:

أولا: لأن الجنة قيعان

إن من صفات الجنة أنها قيعان، وأن بناءها وعمارتها لا يكون إلا بعمل الصالحات، والمرء إذا دخل في الإسلام مُنِحَ مكانا في أحد درجات الجنة مليء بما تشتهيه النفس، وعليه أن يزيد عمارته بالقصور والأشجار ونحو ذلك بالأعمال الصالحة، وهذا المكان وهذه الدرجة يمكن أن تتغير، فتزداد أو تنقص بحسب عمله الذي يعمله في الدنيا[٢٩]، فعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء،

---

(٢٩) أنظر كتابي: كيف ترفع درجتك في الجنة؟

وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) [٣٠].

وروى سلمان الفارسي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة قِيعَانا، فأكثروا غَرْسَهَا، قالوا: يا رسُول الله وما غرسها؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) [٣١].

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى أن قِيعان بكسر القاف جمع قاع وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر اهـ[٣٢].

وقد يتبادر إلى الذهن إشكال بأن في الجنة أراض شاسعة مستوية خالية من الأشجار أو القصور، في حين يدل قول الله تبارك وتعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البينة : ٨] على أنها غير خالية منها؛ لأن الجنة سميت بهذا الاسم لأنها تجن من فيها وتستره بشجرها المتكاثف المظل بالتفاف أغصانه.

فهناك عدة أجوبة على هذا الإشكال، حررها الطيبي رحمه الله تعالى ونقلها عنه الملا علي القاري رحمه الله تعالى فقال:

١. أنها كانت قيعانا ثم إن الله تعالى أوجد بفضله فيها أشجارا وقصورا، بحسب أعمال العاملين لكل عامل ما يختص به بسبب عمله، ثم إنه تعالى لما يسره لما خلق له من العمل لينال بذلك الثواب جعله كالغارس لتلك الأشجار مجازا إطلاقا للسبب على المسبب.

٢. وأجيب أيضا بأنه لا دلالة في الحديث على الخلو الكلي من الأشجار والقصور، لأن معنى كونها قيعانا أن أكثرها مغروس، وما عداه منها أمكنة واسعة بلا غرس لينغرس بتلك الكلمات، ويتميز غرسها الأصلي الذي بلا سبب وغرسها المسبب عن تلك الكلمات، وقال ابن حجر: والحاصل أن أكثرها مغروس ليكون مقابلا للأعمال الصالحة غير تلك الكلمات، وبقيتها تغرس بتلك الكلمات ليمتاز ثواب هذه الكلمات لعظم فضلها عن ثواب غيرها اهـ [٣٣].

---

(٣٠) رواه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في الكبير (١٠٣٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٥٥).

(٣١) رواه الطبراني في الكبير (٦١٠٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (١٥٥١).

(٣٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري (١٤٢/٥).

(٣٣) المرجع السابق بتصرف (١٤٤/٥)، والفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لابن علان (٢٧٥/١).

ونظرا إلى أن الجنة عرضها السموات والأرض، وأن أدنى ملك يملكه آخر الجنة دخولا؛ يعدل أحد عشر ضعفا؛ لملْكْ مَلِكٍ من ملوك الدنيا [٣٤]؛ فإن تلك المساحات الشاسعة سيتخللها أراض فضاء خالية، تنتظر من صاحبها الذي في الدنيا أن يستثمرها بعمارتها بالأشجار والقصور، عن طريق الأعمال الصالحة التي أرشد إليها كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ.

ومما يؤكد على وجود مساحات شاسعة خالية في الجنة؛ الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم ، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمِدَكَ واسْتَرْجَعَ، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسَمُّوهُ بيت الحَمْدِ) [٣٥].

فإن قول الله جل وعلا لملائكته: (ابنوا لعبدي بيتا في الجنة)، يدل على أن هذا البيت لم يكن موجودا من قبل؛ وإنما أُنشئ حديثا ثوابا لصبر مسلم احتسب وفاة ابنه.

من هذا يتبين أنه يمكن للعبد أن يزيد من عدد قصوره في الجنة ببعض الأعمال الصالحة، كما يمكنه زيادة عدد أشجاره ومزروعاته بالإكثار من ذكر الله تعالى من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وأن الذِكر ينشئ الله سبحانه لقائله منه غراسا في تلك الأرض، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة، والعبد كلما وَسَّعَ في أعمالِ البِرِ وُسِّعَ له في الجنة، وكلما عمل خيرا غُرس له به هناك غِراسٌ، وبُنِي له بناءٌ وأُنشئ له من عمله أنواعٌ مما يتمتع به اهـ [٣٦].

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: أرض الجنة قيعان، والأعمال الصالحة لها عمران، بها تبنى القصور وتغرس أرض الجنان، فإذا تكامل الغراس والبنيان انتقل إليه السكان اهـ [٣٧].

---

(٣٤) انظر كتابي: كيف ترفع درجتك في الجنة؟

(٣٥) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٤١/١٩)، والترمذي واللفظ له (١٠٢١)، وابن حبان (٢٩٤٨)، والبيهقي (٦٩٣٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥).

(٣٦) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية (صفحة ٧٨).

(٣٧) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي (صفحة ٧٠).

وقال حكيم الأجمي رحمه الله تعالى: بلغني أن الجنة تبنى بالذكر، فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البنيان، فيقال لهم: لِمَ كففتم ؟ فيقولون حتى تجيئنا نفقة اهـ [٣٨].

ثانيا: لأننا وبيوتنا مؤقتين في الدنيا

كلنا نسكن في بيوت مؤقتة، بل وكلنا مؤقتين في هذه البيوت، فلماذا نضع فيها جل جهدنا ووقتنا ومالنا ولن نؤجر على ذلك إذا زاد عن حاجتنا؟

فعن خباب بن الأرت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد ليؤجر في نفقته كلها إلا في التراب، أو قال: في البناء) وفي رواية للبخاري أنه قال: (إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه، إلا في شيء يجعله في هذا التراب) [٣٩].

إن الذي يعيش في بيت مستأجر تراه لا ينفق ماله في تأثيث هذا البيت بالفاخر من الأثاث أو بتجديد طرازه، لأنه يعلم يقينا بأنه سيتركه يوما ما لصاحبه، وإذا كان هذا المستأجر كيسا فطنا فسينظم ميزانيته ويحفظ ماله لبناء منزل يستقر فيه، وأما الذي يبذر ماله ولا يضع نصب عينيه هدفا في امتلاك بيت؛ فقد يأتيه أحد والديه أو أم أولاده لتقول له: إلى متى ونحن في هذا الحال؟ فقد مر على عشرتنا وزواجنا عشرات السنين ولم نملك حتى الآن بيتا نستقر فيه، أين أموالك؟ أين أضعتها وفيمَ أنفقتها؟ ما فائدة راتبك الشهري ووظيفتك المرموقة وأنت لم تملك بيتا حتى الآن؟ إلى متى نُضيّع حصيلة دخلنا الشهري ليذهب في النهاية إلى المستأجر؟ أين وأين...؟ فكل هذه التوبيخات الكلامية التي قد تمر عبر أذنيك كصفعات تكهرب فؤادك، تقر زوجتك عليها، وتشاركها الهمّ الذي تعيشه، وتعترف بتقصيرك وتقاعسك وبإهدارك لوقتك ولمالك وعدم جديتك في بناء بيت تأوي إليه بقية العمر، فكانت النتيجة أن ظهر الشيب على رأسك وأنت لم تملك مسكنا لتستقر فيه أنت وأولادك كبقية الأسر الأخرى.

هكذا حالنا في هذه الحياة، فكلنا نعيش حياة مؤقتة، ونمر مرحلة خطيرة من أطوار حياتنا؛ هي مرحلة عبادة المولى جل وعلا وطاعته، وبعدها نقطف ثمرة ما زرعنا من عمل صالح، فكلنا في هذه الدنيا نعيش في بيوت مؤقتة ولو كنا نملكها بأموالنا، لأننا سنفارقها بعد فترة لا محالة، وسيخلفنا فيها غيرنا، ويرثها منا رغم أنوفنا، فهل فكَّر كل منا أن يملك

---

(٣٨) البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي (صفحة ٥٠٩)، وقال: رواه الطبراني في كتاب آداب النفوس اهـ، وذكره القرطبي في كتابه: التذكرة في أحوال الآخرة (٣٣١/٢) ونسبه إلى الطبري وليس إلى الطبراني.

(٣٩) رواه الإمام البخاري (٥٦٧٢)، والترمذي (٢٤٨٣)، وابن ماجه (٤١٦٣)، وابن حبان (٣٢٤٣).

العديد من القصور في الدار التي سيستقر فيها أبدا إن شاء الله؟ فإنا نخشى أن يأتي اليوم الذي يوبخُ فيه المرء نفسه على قلة قصوره في الجنة لتقصيره وتفريطه في العمل الصالح.

دخل رجل على أبي ذر الغفاري ﷺ فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا، قال: إنه لا بد من متاع ما دمت هنا، قال: إن صاحب المنزل لا يدعُنا فيه (٤٠).

ودخل بعضهم على أحد الصالحين، فقلَّبوا بصرهم في بيته، فقالوا: بخ إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل، فقال: أمرتحل؟ لا، ولكن أُطرد طردا (٤١).

فاعلم يا أُخَيَّ أننا مؤقتين في بيوتنا، رضينا ذلك أم أبينا. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ما منكم إلا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداه إلى أهلها (٤٢)، فعليك بالمسارعة إلى ما يبني مستقبلك في دار القرار، بالحرص على الأعمال التي يحظى فاعلها على قصر في الجنة .

فحري بنا جميعا أن نبادر إلى هذه الأعمال، ونعمل بمقتضاها، لنؤمِّن لأنفسنا مزيدا من القصور في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فالوقت قصير ويمر علينا سريعا، والعمر محدود لا ندري متى يفاجئنا الموت، فيتوقف البناء والتعمير، فعلينا بالتشمير والبدار، وترك التسويف والاعتذار، وأن نسارع إلى مرضاة العزيز الغفار، بالتوبة والأوبة والاستغفار، وأن نتسابق ونتنافس فيما بيننا على امتلاك أكبر عدد ممكن من القصور في دار القرار، بأعمال صالحة ميسرة، أهداها لنا رسول كريم حريص علينا رؤوف رحيم هو محمد ﷺ .

وعلى كل زوجين متعاونين، فكما أنهما يتعاونان في تنظيم نفقاتهما لتوفير المبالغ اللازمة لبناء بيت يأويان إليه، فعليهما أن يتعاونا أيضا في امتلاك أكبر عدد ممكن من القصور في الدار الآخرة.

إنما الدنيا متاع وغرور ... كلنا فيها على وشك العبور
لا تغرنك هاتيك القصور ... كل من فيها سيمضي للقبور

---

(٤٠) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢٥٠/١) ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٣٧٧/٢).

(٤١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٣٧٧/٢).

(٤٢) صفة الصفوة لابن الجوزي (١٧٥/١).

فهلم أُخيّ إلى قصور لا يموت سكانها ولا يخرب بناؤها، قال عون بن عبد الله بن عتبة رحمه الله تعالى: بنى ملك ممن كان قبلنا مدينة فتنوَّق في بنائها، ثم صنع طعاما، ودعا الناس إليه وأقعد على أبوابها ناسا يسألون كل من خرج: هل رأيتم عيبا؟ فيقولون: لا، حتى جاء في آخر الناس قوم عليهم أكسية، فسألوهم: هل رأيتم عيبا؟ فقالوا: عيبين، فأدخلوهم على الملك، فقال: هل رأيتم عيبا؟ فقالوا: عيبين، قال: وما هما؟ قالوا: تخرب ويموت صاحبها، قال: فتعلمون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها؟ قالوا: نعم، فدعوه فاستجاب لهم، وانخلع من ملكه وتَعبَّد معهم، فحدَّثَ عون بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز، فوقع موقعا حتى همَّ أن يخلع نفسه من الملك، فأتاه ابن عمه مسلمة فقال: اتق الله يا أمير المؤمنين في أمة محمد، فوالله لئن فعلت ليقتتلن بأسيافهم، قال: ويحك يا مسلمة حُملت مالا أطيق، وجعل يرددها ومسلمة يناشده حتى سكن اهـ (٤٣).

وحينما بنى هارون الرشيد قصرا مشيدا، استدعى ندماءه وكان منهم أبو العتاهية رحمه الله تعالى فأنشد قائلا وناصحا (٤٤):

عش ما بدا لك سالما	في ظل شاهقة القصور
يسعى إليك بما اشتهيت	لدى الرواح وفي البكور
فإذا النفوس تقعقعت	في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا	ما كنت إلا في غرور

ثالثا: لنزيد من سعادتنا في الآخرة

إن من سعادة المرء في الدنيا امتلاكه بيتا واسعا كثير المرافق، حيث روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة تراها فتعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفا، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة

---

(٤٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للحافظ ابن رجب الحنبلي (صفحة ٣٧).

(٤٤) المرجع السابق (صفحة ٣٤٤).

المرافق)[٤٥].

ولهذا كان النبي ﷺ يسأل الله عز وجل أن يوسع له في داره، حيث روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي)[٤٦].

فإذا كان هذا الحال لبيوت الدنيا فكيف بقصور الآخرة؟ فلا شك أنها ستضفي على صاحبها مزيدا من السعادة لما تحويه من أمور لا تخطر على قلب بشر، ولَمْ يصف الله جل وعلا لنا مساكن جنة عدن بأنها طيبة عبثا؛ مع أن كل ما في الجنة طيب؛ إلا لأن هذه المساكن – والعلم عند الله تعالى – فيها ما فيها من نعيم وأسرار ومفاجئات لمالكها حيث قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢] .

قد يقول قائل يكفيني عدة قصور في الجنة، وماذا أستفيد عما زاد عن حاجتي؟ وأن دخول الجنة بركة وهو الغاية والمراد ولا أريد زيادة على ذلك، بل إن بعض من هممهم دنيا تراه يقول: أتمنى دخول الجنة ولو عند بابها، فلا تراه يسأل عن الدرجات العلا من الجنة ولا يسعى إلى أسباب ذلك.

لا شك أن هذا تثبيط من الشيطان عن الأعمال الصالحة التي ما شُرعت إلا لأجل أن تزيد من نعيمنا ورفع درجاتنا في الجنة، وإننا لندرك مقدار سعادة الإنسان الذي يملك بيوتا فارهة في معظم عواصم العالم ونغبطه على ذلك، فكذلك المقام في الجنة وأشد، فإن سعادة المرء لا توصف إذا كان يملك آلاف القصور في ملك أدناه مثل ملك الدنيا أحد عشر مرة ولا يقطعه إلا في مئة عام.

فعن المغيرة بن شعبة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنةِ الجنةَ، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون

---

(٤٥) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٨٧/١٩)، والحاكم واللفظ له (٢٦٨٤)، وابن حبان (٤٠٣٢) والطبراني في الكبير (٣٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٦).

(٤٦) رواه والترمذي (١٢٦٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٩٠٨)، وأبو يعلى (٧٢٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٥).

لك مثل مُلْكِ مَلِ ِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾) [السجدة:] (٤٧) .

لقد أفنى سلفنا الصالح أعمارهم في طاعة الله عز وجل أملا في رقي درجات الجنان، ويأتي بعضنا اليوم بعد أن غرته الدنيا بتطورها؛ ليقول يكفينا أدنى المستويات في الجنة وأقل عدد من قصورها؟ في حين أنه لم يجرأ أن يقول مثل ذلك في أمر معاشه وأمر دنياه.

إن ما وعد الله عز وجل به رسوله ﷺ لم يتمثل في قصر واحد فحسب، وإنما قصور كثيرة في الجنة، حيث قال تبارك وتعالى لحبيبه محمد ﷺ لقاء تركه زهرة الحياة الدنيا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾ [الفرقان: ١٠]، فهل ترغب في زيادة نعيمك وسعادتك في الجنة؟

رابعا: لمنافسة أصحاب القصور في الدنيا

يعيش معظم الناس حياة مادية يتنافسون عليها، يتباهون بامتلاك أفخر البيوت والعديد من العقارات، بل أصبح امتلاك مسكن فاخر هو شغل الفرد الشاغل، وأمنيته الكبرى في هذه الحياة، على ما يكلفه ذلك من مئات الآلاف من الريالات، حتى أصاب بعضهم الهمَّ في هذا الجانب وقال: شيبَنَا البنيان، في حين أن رسول الله ﷺ قال: (شيبتني هود وأخواتها) (٤٨).

لقد بين المصطفى ﷺ بأن كثيرا من الناس سيهتمون ببيوت الدنيا حتى ينجدوها ويسرفوا في تأثيثها، فعن ابن أبي جحيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ستفتح عليكم الدنيا حتى تنجدوا بيوتكم كما تنجد الكعبة، فأنتم اليوم خير من يومئذ) (٤٩)، وإن من الورع أن لا

(٤٧) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢٧).

(٤٨) رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنها (٣٢٩٧)، والحاكم (٣٣١٤)، والطبراني في الكبير (٣١٨) عن عقبة بن عامر وعن أبي جحيفة رضي الله عنها، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٠).

(٤٩) رواه الطبراني في الكبير (٢٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦١٤).

تشغلنا البيوت المؤقتة عن البيوت الدائمة التي سنقيم فيها بإذن الله تعالى، وإن الكيس الفطن من يعمل للدنيا قدر بقائه فيها، ويعمل للآخرة قدر بقائه فيها، أفيعقل منك يا أُخيَّ أن تكتفي بتزويق بيوت أنت راحل عنها، وتهمل قصورا ستخلد فيها إن شاء الله تعالى أبدا؟

فخذ بوصية لقمان حينما قال لابنه: لكل إنسان بيتان: بيت غائب وبيت شاهد، فلا يلهينك بيتك الحاضر الذي فيه عمرك القليل عن بيتك الغائب الذي فيه عمرك الطويل [٥٠].

لقد دعا النبي ﷺ بالرحمة لرجل هدم بناءً كان فوق حاجته استجابة لأمره ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: مَرَّ رسول الله ﷺ بِقُبَّةٍ على باب رجل من الأنصار فقال: (ما هذه)؟ قالوا: قُبَّةٌ بَنَاهَا فلان، قال رسول الله ﷺ : (كل مال يكون هكذا فهو وَبَالٌ على صاحبه يوم القيامة)، فبلغ الأنصاري ذلك، فوضعها، فَمَرَّ النبي ﷺ بَعْدُ فلم يرها، فسأل عنها، فَأُخْبِرَ أنه وضعها لِمَا بَلَغَهُ عنك، فقال: (يَرْحَمُهُ الله يرحمه الله) [٥١].

فانطلاقا من هذا المبدأ، فإنه ينبغي الحرص على منافسة هؤلاء الناس بامتلاك أكبر عدد ممكن من القصور والعقارات، ولكن ليس في الدنيا وإنما في الآخرة، فقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا رأيت الرجل ينافس في الدنيا فنافسه في الآخرة [٥٢]، لذلك فإن هذا الكتاب يركز على كيفية الحصول على قصر في الجنة، ويسلط الضوء على سبل تكثير القصور فيها، فهل نشمر إلى ذلك؟

المبحث الثالث

شرف الحصول على قصر في الجنة

١- إن البشارة ببيت في الجنة شيء عظيم، وعطاء من الله جزيل، وليس بالثواب القليل، ولقد كانت أمنية آسيا زوج فرعون أن تحصل على بيت في الجنة، قال الله تعالى

(٥٠) فاكهة الصيف وأنيس الضيف للسيوطي (صفحة ١٣٠).

(٥١) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣١٥/١٩)، وأبو داود (٥٢٣٧)، وابن ماجه واللفظ له (٤١٦١)، والطبراني في الأوسط (٣٠٨١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح (١٨٧٤).

(٥٢) الزهد لابن حنبل (صفحة ٢١٧)، ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب (صفحة ٢٨٥).

عنها: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

وروى أبو هريرة ﷺ: إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فكشف لها عن بيتها في الجنة [٥٣]، فكأن الله عز وجل كان يصبرها على بلائها برؤيتها لهذا البيت.

٢- وقد بشر رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها - وهي أفضل زوجاته وأم أولاده - ليس بالجنة فحسب، وإنما ببيت في الجنة.

فعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بَشِّرُوا خديجة ببيت من الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب) [٥٤] وفي رواية عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أُمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب) [٥٥]، والقصب هو اللؤلؤ.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قال السهيلي: النكتة في قوله: (من قصب) ولم يقل: (من لؤلؤ)؛ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ هذه الحديث اهـ [٥٦] .

٣- إن ثمن المتر من الأرض يختلف باختلاف موقع الأرض، فمتر على الشارع العام أو في وسط سوق المدينة، لا يقارن بثمن نظيره في أقصى المدينة أو ضواحيها، فقد يكون ثمن متر واحد مربع في وسط سوق مدينتك يعدل ألف متر مربع أو يزيد في أطراف المدينة.

فكم يعادل متر واحد في الجنة من متر في الأرض يا ترى؟ فلنحاول تقريب ثمن بعض ما في الجنة مقارنة بالدنيا بسرد بعض الأحاديث النبوية التي تصف بعض ما في

---

(٥٣) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٤٣١)، وقال ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: صحيح موقوف (٣٧٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٠٨).

(٥٤) رواه البخاري واللفظ له (١٧٩٢).

(٥٥) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٢٣٩/٢٠)، ومسلم (٢٤٣٣)، وابن حبان (٧٠٠٥)، والحاكم (٤٨٤٨)، والطبراني في الكبير(١٣).

(٥٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٧١/٧ ح ٣٨١٩).

الجنة من فضل.

فعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) [٥٧]، فهذا موضع السوط في الجنة الذي لا يتجاوز طوله عن متر ونصف، وعرضه بضعة مليمترات، فلو افترضنا أن طوله متر ونصف وعرضه نصف سنتيمتر، فإن إجمالي مساحته لن تزيد على ثلاثة أرباع المتر المربع فقط، فهذه المساحة الضئيلة في الجنة ليست بأفضل من عشرة آلاف متر مربع في الأرض، ولا أفضل من بلد كامل، ولا قارة بأكملها فحسب، بل هي أفضل من الدنيا وما فيها! فما بالك إذن بمساحة قصر في الجنة؛ هل يمكن أن تفاضله بالدنيا؟

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا، لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره، لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم) [٥٨].

تأمل يا أُخيَّ هذه المساحة الضئيلة؛ وهي مساحة ما يقل ظفرك في الجنة، كم عدلت من الدنيا، فكم سيعدل في ظنك مساحة قصر في الجنة مما في الدنيا؟ وهل هناك وجه للمقارنة بين الاثنين؟

ألم ترى أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف أمضى من العصى

ألا يحثنا هذا على امتلاك مثل هذه القصور في الجنة؟

فمن حصل على بيت في الجنة نال خيرا عظيما لا يستهان به، وبيوت الجنة ليست كبيوت الدنيا كما سيمر علينا في ثنايا الكتاب، كي لا نستهين بثوابها.

المبحث الرابع

سعة قصور الجنة

نعلم جميعا أن البيوت في الدنيا ذات مستويات متعددة ومختلفة، أعلاها مقاما

---

(٥٧) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (١٤/١٤)، والبخاري (٣٢٥٠)، والترمذي (١٦٤٨)، وابن ماجه (٤٣٣٠)، والدارمي (٢٨٢٠)، وابن حبان (٧٤١٧)، والبيهقي (١٨٢٧٢)، وأبو يعلى (٧٥١٤)، والطبراني في الكبير (٥٧١٦).

(٥٨) رواه الإمام أحمد –المسند- (١٤٥٣)، والترمذي (٢٥٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥١).

القصور، وأدناها الخيام، وإن نوع المسكن يعكس الوضع الاقتصادي للأسرة، فإذا قلنا عن أسرة أنها تسكن في خيمة، دل ذلك على فقرها وشظف العيش الذي تعانيه، وإذا قلنا عن أسرة أنها تسكن في شقة أو بيت صغير، دل على أنها أسرة ميسورة الحال، وإذا قلنا عن أسرة تسكن في فيلا كبيرة، دل على أنها أسرة غنية، وإذا قلنا عن أسرة تسكن في قصر فاره، دل على أنها أسرة ثرية، وإذا قلنا عن أسرة تملك عدة قصور فارهة في أماكن متفرقة، دل على أنها أسرة فاحشة الثراء، هكذا فإن نوع المساكن وحجمها وعددها يعكس الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة.

وإذا أردنا أن نصور للأذهان ضخامة قصور الآخرة وسعتها، فلنحاول أخذ جولة سريعة عن أحد مساكن الجنة وهي الخيمة، ولعلها تكون هي أدنى مساكن الجنة كما هي في غُرْفِنا في الدنيا، فإذا عرفنا مساحة أدنى المساكن في الجنة أمكن تقدير أعلاها وهي الغرف – القصور الشاهقة – وقد ذكر الله تبارك وتعالى خيام الجنة في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

وهذه الخيام ستكون على شواطئ الأنهار لما رواه أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله) [٥٩].

وتمتاز هذه الخيام بأنها ذات قِباب، حيث جاء في رواية للبخاري عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أتيت على نهر حافتاه قِباب اللؤلؤ مجوفا فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر)، والْقِبَابُ جَمْعُ قُبَّةٍ وهو بِنَاءٌ سَقْفُهُ مُسْتَدِيرٌ مُقَمَّرٌ [٦٠].

وروى أبو ذر ﷺ في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ قال: (... ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجنة فإذا فيها جَنَابِذُ – أي قِباب – اللُّؤْلُؤِ وإذا تُرَابُهَا الْمِسْكُ) [٦١].

وذِكر الخيام لا يشير إلى حياة البداوة في الجنة؛ لأنه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما [٦٢]، وينكشف ذلك جليا إذا عرفنا

---

(٥٩) رواه الإمام أحمد واللفظ له–الفتح الرباني– (١٣٤/٢٤)، والبخاري (٦٥٨١)، والترمذي (٣٣٥٩)، وابن حبان (٦٤٧٣)، والحاكم (٢٦٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٧٠٦)، وأبو يعلى (٢٨٧٦).

(٦٠) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٢٩١/٩ ح ٣٣٥٩).

(٦١) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩٧/٢)، والبخاري واللفظ له (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

(٦٢) رواه البيهقي موقوفا، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٦٩).

بعض صفات هذه الخيام المبهجة، حيث روى أبو موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا [٦٣]، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن) [٦٤].

وفي رواية الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: (الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون)، ولا معارضة بين الروايتين كما قال النووي رحمه الله تعالى: فعرضها في مساحة أرضها وطولها في السماء، أي: في العلو متساويان اهـ[٦٥].

فالخيمة طولها في السماء ستون ميلا وعرضها مثل ذلك، والميل كما رجح النووي رحمه الله تعالى يساوي ستة آلاف ذراع، والذراع: أربع وعشرون إصبعا معترضة معتدلة، والإصبع: سِتّ شَعِيرَات معترضات معتدلات[٦٦]، ويرى العيني رحمه الله تعالى بأن الميل يساوي أربعة آلاف خطوة [٦٧]، بينما يرى الدكتور الزحيلي أن الميل يقدر بثلاثة آلاف

---

(٦٣) قال ابن حجر رحمه الله تعالى: والميل من الأرض منتهى مد البصر لأن البصر يميل عنه على وجه الأرض حتى يَفْنَى إدراكه، وبذلك جزم الجوهري، وقيل حَدّه أن ينظر إلى الشخص في أرض مسطحة فلا يدري أهو رجل أو امرأة أو هو ذاهب أو آت، قال النووي: الميل ستة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعا معترضة معتدلة، والإصبع سِتّ شَعِيَرات معترضة معتدلة انتهى، وهذا الذي قاله هو الأشهر، ومنهم من عبَّر عن ذلك باثني عشر ألف قدم بقدم الإنسان، وقيل هو أربعة آلاف ذراع، وقيل بل ثلاثة آلاف ذراع نقله صاحب البيان، وقيل خمسمئة صححه ابن عبد البر، وقيل هو ألفا ذراع، ومنهم من عبر عنه بألف خُطْوَة للجمل، ثم إن الذراع الذي ذكره النووي تحديده قد حَرَّرَهُ غيره بذراع الحديد المستعمل الآن في مصر والحجاز في هذه الأعصار، فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثُّمُن، فعلى هذا فالميل بذراع الحديد على القول المشهور خمسة آلاف ذراع ومائتين وخمسون ذراعا، وهذه فائدة قلَّ من نَبَّهَ عليها اهـ [فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (باب في كم يقصر الصلاة؟ ٦٦٠/٢ ح ١٠٨٦)].

(٦٤) رواه الإمام أحمد واللفظ له–الفتح الرباني– (١٨٦/٢٤)، والبخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨)، والترمذي (٢٥٢٨)، والدارمي (٢٨٣٣)، وابن حبان (٧٣٩٥)، وأبو يعلى (٧٣٣٢).

(٦٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨٢/١٧ ح ٢٨٣٨).

(٦٦) المرجع السابق (٢٠٣/٥ ح ٦٨٥).

(٦٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (٦٧/١٦).

وخمسمئة ذراع على رأي المالكية، والذراع يقدر بحوالي ٤٦,٢سم [٦٨].

وعلى هذا، فإن الميل على رأي النووي رحمه الله تعالى يقدر بحوالي ٢٧٧٢ مترا (٦٠٠٠ × ٠,٤٦٢) [٦٩]، وحوالي ١٨٤٨ مترا على رأي العيني رحمه الله تعالى (٤٠٠٠ × ٠,٤٦٢)، وحوالي ١٦١٧ مترا على رأي الدكتور الزحيلي (٣٥٠٠ × ٠,٤٦٢).

من ذلك فإن قدر ارتفاع الخيمة في الجنة بالمقاييس العصرية يزيد على مئة كيلو متر تقريبا.

فتأمل – رحمك الله تعالى – في خيمة من خيام الجنة ارتفاعها قرابة مئة كيلو متر وعرضها على الأرض مثل ذلك، وكلها قطعة لؤلؤ واحدة، فما مساحتها وما حجمها يا ترى؟ ونحن نعلم أن الخيام أدنى مراتب البيوت كما هو في عرفنا في الدنيا، إذ إن البيوت في الدنيا لها مستويات معروفة، ووفقا لطرازها وحجمها يمكن تحديد مكانة من يسكنها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، فلعل الخيمة في الجنة هي أدنى مراتب البيوت كما في عُرفِ الناس، فتأمل في مساحتها، ثم اسأل نفسك: فما مساحة القصر في الجنة يا ترى؟

أظن أن ذلك ما لا تدركه العقول ولا يخطر على قلب بشر، وأدع ذلك لخيالك الواسع.

إن الناس في عصرنا ينبهرون إذا رأوا أطول برج أو أطول بناية في العالم، وقد يشدوا الرحال من أجل رؤيتها، وأخذ الصور التذكارية عندها، وهذا البرج، وهذه البناية لا يزيد ارتفاعها في الغالب عن خمسمئة متر (٥٠٠)، أي أقل من نصف كيلومتر، فكيف بخيمة في الجنة ارتفاعها يزيد على مئة كيلو متر هي لكل مؤمن؟

ألا يجعلنا ذلك نشمِّر لهذه القصور ونحتقر ما في الدنيا من متاع، وأن لا يغرنا ما يملكه الكفار من حضارة مادية ومن ناطحات سحاب؟ إذ إنها لا تساوي عند المؤمن شيئا بجانب ما أعده الله له من خير عميم في جنات النعيم، قال الله تعالى: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦–١٩٧].

ألا يجعلنا نسخر مما في الدنيا ولا نغتر بها، ونعجب ضاحكين على الذين

---

(٦٨) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (٣٢١/٢).

(٦٩) بينما الميل الإنجليزي يساوي ١٦٠٩ متر، وإنما اشتهر الأخير لسيادة حضارة بريطانيا حقبة من الزمن على معظم أرجاء المعمورة.

يتكالبون عليها وهم عن الآخرة غافلون، وأن نعلم يقينا أن الله تعالى قد أعدَّ للمؤمنين من النعيم ما لا يخطر على قلب بشر؟

المبحث الخامس

تفاضل قصور الجنة

١- إن قصور الجنة ليست على طراز واحد ولا بحجم واحد، وإنما تتفاضل في الحجم والجمال والرفعة والشرف ومادة البناء وغير ذلك، ولقد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز أن من مساكن الجنة: الخيام والبيوت والقصور والغرف.

وثَمة فرق جلي بين هذه المصطلحات، فالبيت أكبر وأفضل من الخيمة، والقصر أكبر وأفضل من البيت، والغُرَف – هي القصور الشاهقة – أفضل من القصور وأعلى منها.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله؛ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) (٧٠)، وذكر ابن حجر رحمه الله في الفتح أن فائدة ذكر المشرق والمغرب في الحديث هو بيان الرفعة وشدة البعد.

٢- كما أن الغرف تتفاضل فيما بينها، فبعضها أعلى من بعض فقال الرب الكريم في محكم التنزيل: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

3- وتمتاز القصور التي في جنات عدن – وهي أعلى الجنان – بميزة لم توصف بها بقية قصور الجنة، وهي أنها مساكن طيبة؛ مع العلم بأن كل ما في الجنة طيب ولا شك؛ إلا لأن هذه المساكن – والعلم عند الله تعالى – فيها ما فيها من نعيم وأسرار لمالكها فوق ما نتصور قد لا يوجد في بقية القصور التي في الجنان الأخرى، حيث ذكر تعالى المساكن الطيبة في موضعين اثنين فقط، فقال جل ذكره: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ

---

(٧٠) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (١٩٢/٢٤)، والبخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣١)، والترمذي (٢٥٥٦)، وابن حبان (٢٠٩)، وأبو يعلى (٧٥٢٨).

مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢]، وقال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الصف:١٢].

4- ومما يوضح تفاضل قصور الجنة أيضا – والعلم عند الله تعالى – تميزها عن بعضها البعض بمسميات تشير إلى فضلها ومكانتها وعظم ثواب صاحبها، حيث جاء أن بعضها يسمى ببيت الحمد، لما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات ولد العبد المؤمن، قال اللَّهُ للملائكة: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ قالوا: نعم، قال: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَاده؟ قالوا: نعم، قال: فما قال؟ قالوا: اسْتَرْجَعَ وَحَمِدَكَ، قال: أَبَنُوا له بيتا في الجنة وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ) [٧١].

٥- وذكر النووي رحمه الله تعالى أن فضل البيوت التي تبنى في الجنة ثوابا لمن بنى مسجدا؛ تفضل على سائر بيوت الجنة كفضل المسجد على بيوت الدنيا [٧٢]، ومعنى ذلك – والعلم عند الله – أنه إذا كان أشرف بيوت الأرض هي المساجد، فإن أشرف بيوت الجنة هي البيوت التي بنيت ثوابا لمن بنى مسجدا لله عز وجل.

6- ولعل تفاضل هذه القصور بعضها عن بعض يكون أكثر جلاء عند الحديث عن تنوع مادة بناء هذه القصور، وهو ما سيتم ذكره في المبحث التالي.

المبحث السادس

مادة بناء قصور الجنة

بيوت الجنة ليست من طين ولا خرسانة، وبنائها ليس من مادة واحدة، وإنما يختلف من قصر لآخر.

١- فهناك قصور شفافة لا تحجب ما وراءها وأخرى غير شفافة، فعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا من بَاطِنِهَا ، وباطنها من ظاهرها، أَعَدَّهَا الله لمن أَطْعَمَ الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس

(٧١) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٣٥) واللفظ لابن حبان.

(٧٢) انظر العمل الخامس عشر في هذا الكتاب.

نيام) [٧٣].

٢- وهناك قصور من ذهب، للحديث الذي رواه أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (دخلت الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ فقالوا: عمر بن الخطاب) [٧٤].

٣- وهناك قصور من فضة، للحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن في الجنة جنتين آنيتهما وما فيهما من فضة، وجنتين آنيتهما وما فيهما من ذهب، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) [٧٥].

أما الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (الجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم) [٧٦]، فيختص بحائط الجنة وليس بقصورها [٧٧]؛ استنادا لما رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: (حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ودرجها الياقوت واللؤلؤ، وكنا نحدث أن رضراض أنهارها اللؤلؤ، وترابها الزعفران) [٧٨]، والرضراض هو صغار الحصى في مجاري المياه.

---

(٧٣) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٧/١٩)، والترمذي (٢٥٢٧) وابن حبان واللفظ له (٥٠٩)، والحاكم (١٢٠٠)، وابن خزيمة (٢١٣٧)، والبيهقي (٨٢٦٢)، وأبو يعلى (٤٢٨)، والطبراني في الكبير (٣٤٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٧٤) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢٤)، واللفظ للترمذي.

(٧٥) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩١/٢٤)، والبخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، والترمذي واللفظ له (٢٥٢٧)، وابن ماجه (١٨٦)، والدارمي (٢٨٢٢)، وابن حبان (٧٣٨٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٧٦٥)، وأبو يعلى (٧٣٣١).

(٧٦) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٨٤/٢٤)، والترمذي (٢٥٢٦)، والدارمي (٢٨٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١١٦)

(٧٧) علل ذلك ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤٤١/١٣ ح ٧٤٤٤)

(٧٨) رواه البيهقي في البعث، وابن أبي الدنيا موقوفا، وقال شعيب الأرناؤط في تخريجه شرح السنة للبغوي: رجاله ثقات (٢٢٨/١٥).

٤- وهناك قصور من قصب – وهو اللؤلؤ- للحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: (يا رسول الله: هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب – شكٌّ من الراوي – فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب) (٧٩).

٥- وهناك قصور من لؤلؤ وزبرجد – حجارة كريمة – للحديث الذي روى فيه أنس بن مالك ﷺ قصة الإسراء والمعراج وكان مما قاله: (فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلم عليه، ورد عليه آدم، وقال: مرحبا وأهلا بابني، نِعمَ الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ ، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك... الحديث) (٨٠).

٦- وهناك قصور من در أبيض وياقوت أحمر وزبرجد أخضر-أنواع لحجارة كريمة – للحديث الذي رواه أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء، فيها نكتة سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك، تكون أنت الأول، وتكون اليهود والنصارى من بعدك، قال: ما لنا فيها؟ قال: فيها خير لكم، فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له يقسم إلا ادخر له ما هو أعظم منه، أو تعوذ فيها من شر هو عليه مكتوب إلا أعاذه، أو ليس عليه مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة السوداء فيها؟ قال: هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد، قال: قلت: لم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه، ثم حف الكرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها، ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب، فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى

---

(٧٩) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢١) واللفظ لمسلم.

(٨٠) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٣٤/٢٤)، والبخاري واللفظ له (٧٥١٧)، ومسلم (٤٠٠)، والترمذي (٣٣٦٠).

حتى ينظروا إلى وجهه، وهو يقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، هذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألونه الرضا، فيقول الله عز وجل: رضائي أحلكم داري، وأنالكم كرامتي، فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة، ثم يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسيه، فيصعد معه الشهداء والصديقون- أحسبه قال: - ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم **درة بيضاء**، لا فصم فيها - أي لا صدع ولا تكسر - ولا وصم -أي لا عيب - أو **ياقوتة حمراء**، أو **زبرجدة خضراء**، منها غرفها وأبوابها، مطردة فيها أنهارها، متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة، وليزدادوا فيه نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى، ولذلك دعي يوم المزيد) [٨١].

المبحث السابع

جمال قصور الجنة

١- إن جمال قصور الجنة يبلغ حد الخيال الذي لا يوصف، إذ كاد رجل أول دخوله الجنة أن يخر ساجدا لقصره من شدة جماله عندما تراءى له، فاقرأ هذا الحديث العجيب الذي لولا تصحيح المحدثين لسنده ومتنه لما صدقته ودونته:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة.... - ثم ذكر حال مرور الناس على الصراط على قدر نورهم وذكر حال آخر الناس دخولا الجنة - فقال ﷺ :

ومنهم من يمر كشد الرجل، حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه، يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها فقال: الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها.

قال: فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل، فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب، فيقول: رب أدخلني الجنة، فيقول الله له:

---

(٨١) رواه ابن أبي الدنيا موقوفا، والطبراني في الأوسط (٦٧١٧)، وأبو يعلى (٤٢٢٨)، والبزار واللفظ له، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٣٧٦١).

أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: رب اجعل بيني وبينها حجابا لا أسمع حسيسها.

قال: فيدخل الجنة ويرى أو يرفع له منزلٌ أمام ذلك كأنَّ ما هو فيه إليه حُلُم، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول له: لعلك إن أعطيتُكه تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، وأنى منزل أحسن منه؟ فيعطاه فينزله، ويرى أمام ذلك منزلا كأن ما هو فيه بالنسبة إليه حلم، قال: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله تبارك وتعالى له: فلعلك إن أعطيتُكَهُ تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، وأنى منزل أحسن منه؟ فيعطاه فينزله، قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر، كأنما هو إليه حلم، فيقول: أعطني ذلك المنزل، فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتُكَه تسأل غيره؟ قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، ثم يسكت.

فيقول الله جل ذكره: ما لك لا تسأل؟ فيقول: رب قد سألتك حتى استحييتك، وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله جل ذكره: ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أتهزأُ بي وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب تبارك وتعالى من قوله).

قال: فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث هذا الحديث مرارا؛ كلما بلغت هذا المكان ضحكت؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يحدث بهذا الحديث مرارا، كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك، حتى تبدو أضراسه.

قال: (فيقول الرب جل ذكره: لا، ولكني على ذلك قادر، سل، فيقول: ألحقني بالناس، فيقول: ألحق بالناس، فينطلق يرمل في الجنة، حتى إذا دنا من الناس رفع له **قصر من درة**؛ فيخرُ ساجدا، فيقال له: ارفع رأسك ما لك؟ فيقول: رأيت ربي – أو تراءى لي ربي – فيقال له: إنما هو منزل من منازلك، قال: ثم يلقى رجلا فيتهيأ للسجود له، فيقال له: مه! فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة! فيقول: إنما أنا خازن من خُزَّانك، وعبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان على ما أنا عليه، قال: فينطلق أمامه حتى يفتح له القصرَ، قال: وهو من دُرةٍ مجوفة، سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، تستقبله جوهرة خضراءُ مبطنة بحمراء، فيها سبعون بابا، كل باب يفضي إلى جوهرة خضراء مبطنة، كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء حُللها، كبدها مرآته، وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفا عما كانت

قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفا، وتقول له: وأنت والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفا، فيقال له: أشرِفْ، فيُشرفُ، فيقال له: ملكك مسيرة مئة عام ينفذه بصرك... الحديث) (٨٢).

٢- ويزيد هذه القصور جمالا جمال من يسكنها من الحور العين والزوجات من بني آدم اللاتي وصفهن الباري جل جلاله بقوله: ﴿كأنهن اللؤلؤ والمرجان﴾ وقوله تعالى: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾، ولعل في آخر الحديث السابق غنية عن وصف بعض الحور العين.

وروى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان – أي من نساء الدنيا –، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن...) (٨٣).

وروى أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (... ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) (٨٤).

٣- كما يزيد جمال هذه القصور بهاءً جمال البساتين والأشجار المذهبة التي حوله، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب) (٨٥)، وجاء عن جرير بن عبد الله ﷺ أن سلمان الفارسي ﷺ أخذ عويدا لا يكاد يرى بين أصبعيه ثم قال له: يا جرير! لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده، قلت: يا أبا عبد الله،

---

(٨٢) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢٦).

(٨٣) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩٥/٢٤)، والبخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤)، والترمذي (٢٥٣٥)، وابن ماجه (٤٣٣٣)، وابن حبان (٧٤٣٧)، والحاكم (٥٠١٠)، والطبراني في الكبير (١٠٣٢١).

(٨٤) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٨٩/٢٤)، والبخاري واللفظ له (٢٧٩٦)، الترمذي (١٦٥١)، وابن حبان (٧٣٩٨)، وأبو يعلى (٣٧٧٥).

(٨٥) رواه الإمام الترمذي واللفظ له (٢٥٢٤)، وابن حبان (٧٤١٠)، وأبو يعلى (٦١٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٣٢).

فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاه الثمر [٨٦].

المبحث الثامن

فخامة قصور الجنة

إذا كانت حصباء الجنة هي اللؤلؤ، وترابها المسك والزعفران، وقصورها مبنية من ذهب وفضة ولؤلؤ وياقوت وزبرجد وغير ذلك، فما توقعاتك أن يكون أثاث تلك القصور العجيبة؟

١- أما السُرُر في تلك القصور فهي موضونة؛ أي منسوجة بخيوط الذهب والجواهر، قال تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥].

٢- وأما الفُرُش التي على السرر، فبطائنها من استبرق، وهو ما غلظ من الديباج [٨٧]، قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿بطائنها من استبرق﴾ [الرحمن: ٥٤]، قال: أُخبرتم بالبطائن، فكيف بالظهائر [٨٨] ؟

٣- وأما الآنية فهي من الذهب والفضة، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [الزخرف: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة، لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف، بيد كل واحد صحفتان، واحدة من ذهب والأخرى من فضة، في كل واحدة لون ليس في الأخرى، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، يجد لآخرها من الطيب واللذة، بمثل الذي يجد لأولها.... الحديث) [٨٩].

٤- وأما الأكواب فهي زجاج من فضة، وهذا غير معهود في دنيانا أن يكون

---

(٨٦) رواه البيهقي، وابن أبي شيبة، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٣٧٣٣).

(٨٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٠/٦).

(٨٨) رواه البيهقي موقوفا، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب، ووافقه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٤٦).

(٨٩) رواه الطبراني في الأوسط (٧٦٧٤)، والمروزي في زياداته على الزهد لابن المبارك (٥٣٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٥/٦)، وقال ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أخرجه الطبراني بإسناد قوي اهـ (٣٧٣/٦ ح ٣٢٤٥).

الزجاج من فضة يُرى من ظاهرها ما في باطنها، قال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ [الإنسان: ١٥-١٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الجنة شيء إلا وقد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة (٩٠).

٥- وأما أمشاط أصحاب هذه القصور فهي من الذهب والفضة، ومباخرهم -أي مجامرهم- جعلت من نفس العود الذي يتبخر به.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد - أي كقلب رجل واحد - ، يسبحون الله بكرة وعشيا) (٩١).

قال ابن حجر نقلا عن القرطبي رحمهما الله تعالى: قد يقال: أي حاجة لهم إلى المشط وهم مُرد - أي دون لحى - وشعورهم لا تتسخ؟ وأي حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المسك؟ قال: ويجاب بأن نعيم أهل الجنة من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم جوع أو عري أو نتن، وإنما هي لذات متتالية ونِعَم متوالية، والحكمة في ذلك أنهم يُنَعَّمُونَ بنوع ما كانوا ينعمون به في الدنيا هـ (٩٢).

٦- وأما خدم هذه القصور فهم غلمان كأمثال اللؤلؤ المنثور، لقول الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً﴾ [الإنسان: ١٩].

٧- ويظهر - والعلم عند الله تعالى - أن من فخامة هذه القصور أيضا أنه لا يوجد بها دورات مياه كمساكن الدنيا، لعدم الحاجة إليها، لأن المؤمن إذا أكل وشرب في الجنة كانت حاجته عَرَقًا يفيض من جلده مثل المسك فيضمر بطنه، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون

---

(٩٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٦/١٩)، والبدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي (صفحة ٥٦٦ ح ٢١٠٦)

(٩١) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٨٣).

(٩٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٣٧٤/٦ ح ٣٢٤٥).

النفس) [٩٣].

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال: أتى النبيُ ﷺ رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم، ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فيها؟ فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده؛ إن أحدهم ليعطى قوة مئة رجل في المطعم، والمشرب، والشهوة، والجماع)، فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب؛ تكون له الحاجة؟ فقال رسول الله ﷺ: (حاجتهم: عرق يفيض من جلودهم مثل المسك؛ فإذا البطنُ قد ضَمَر) [٩٤].

المبحث التاسع

القائمون على بناء قصور الجنة

إن قصور الجنة مبنية بناء حقيقيا، قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

وهذه القصور على نوعين، نوع مبني وموجود حاليا؛ أعده الله تعالى ثوابا لبعض الأعمال، والنوع الآخر لم يُبْنَ بعد؛ وإنما سيتم بناؤه ثوابا لمن سيؤدي بعض فضائل الأعمال التي حث عليها النبي ﷺ، ولم أقف على ما يميز بين هذين النوعين من القصور في الفضل والشرف، والذي يهمنا هو كيفية الحصول على هذه القصور، ولذلك أسميت هذا الكتاب (كيف تملك قصورا في الجنة؟)، ولم أسمه (كيف تبني لك قصرا في الجنة؟) – كما كنت مقررا في كتبي السابقة – لكي نفوز بكلا النوعين من هذه القصور بإذن الله تعالى.

وتتولى الملائكة عليهم السلام بناء هذه القصور، ولا يزالون يبنونها لكل من يستحقها ويعمل لها، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قبض الله ابن العبد قال لملائكته: ما قال عبدي؟ قالوا: حمدك واسترجع، قال: **ابنوا له بيتا** في

---

(٩٣) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٠١/٢٤)، ومسلم واللفظ له (٢٨٣٥)، والدارمي (٢٨٢٧)، وأبو يعلى (١٩٠٦).

(٩٤) رواه ابن حبان (٧٤٢٤)، والطبراني في الكبير (٥٠٠٨)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧٣٨١).

الجنة، وسموه بيت الحمد) [٩٥].

فإن قول الله جل وعلا لملائكته: (ابنوا له بيتا في الجنة)، يدل على أن هذا القصر لم يكن موجودا من قبل؛ وإنما أُنشئ حديثا بأمر الله تعالى، ثوابا لمسلم صبر واحتسب وفاة ابنه، والأمر الآخر أن الذي يقوم بالبناء هم الملائكة الكرام، ولعل هذا يعضد قول الحسن البصري رحمه الله تعالى حينما علل توقف الملائكة عن غرس الأشجار وبناء القصور في الجنة للمؤمنين بقولهم: حتى تأتينا المؤنة، أي حتى يصعد إلينا عمل صالح من صاحبه [٩٦].

قال محمد بن النضر رحمه الله تعالى: ما من عامل يعمل في الدنيا إلا وله من يعمل في الدرجات في الآخرة، فإذا أمسك أمسكوا فيقال لهم: ما لكم لا تعملون؟ فيقولون: صاحبكم لاه [٩٧]، فلا تكن من اللاهين رحمك الله تعالى ولا تدع الملائكة عليهم السلام يتوقفون عن بناء قصور لك.

في ختام هذا الفصل نخلص إلى عظم شرف الحصول على قصر في الجنة، وأن حجمه وجماله ومادة بنائه وفخامته ليس مما يمكن أن تحيطه عقولنا، فضلا على الألوان الزاهية والمناظر الخلابة والبساتين الغناء التي حوله والحور التي تسكنه ستضفي على ذلك القصر جمالا آخر مما لا يخطر على قلب بشر، وأنه يمكن للمؤمن أن ينال العديد من هذه القصور.

فهل أنت مستعد الآن للتعرف على كيفية الحصول على مثل هذه القصور الطيبة في الجنة؟

فإن الفصل التالي ينتظر منك قراءته والعمل به، وهنيئا لك ثم هنيئا إن قَبِلَ الله منك عملك، وفزت بقصر واحد أو أكثر، وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

(٩٥) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٣٥) واللفظ للبيهقي.

(٩٦) انظر لطائف المعارف لابن رجب (صفحة ٧٠)، وتنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي (صفحة ١٢٩) .

(٩٧) شعب الإيمان للبيهقي (٥١٤/١)، والبدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي (صفحة ٥١٠).

الفصل الثاني

أهم الأعمال التي يحظى فاعلها بقصر في الجنة

تمهيد:

لقد وعد الله تعالى في كتابه الكريم كل من آمن وعمل صالحا أن يمنحه القصور الكثيرة في الجنة، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، والغرف هي القصور الشاهقة.

كما أن كثيرا من الأعمال الصالحة بشر المصطفى ﷺ لمن يعملها أو يتلفظ بها بدخول الجنة، مثل ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة) [٩٨]، وكالذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من صلى البردين دخل الجنة) [٩٩]، ونحو ذلك من أحاديث تدل على أعمال تدخل صاحبها الجنة.

إلا أن موضوع هذا الكتاب سيركز على الأعمال التي يثاب فاعلها قصرا أو بيتا في الجنة بإذن الله تعالى، والغرض من ذلك تكثير قصورنا إن شاء الله تعالى وزيادة نعيمنا وسعادتنا في الجنة.

فالموضوع هام لجميع الناس، لأنه يتعلق بزيادة نعيمهم، وتكثير بيوتهم، ورفع درجاتهم في الجنان، فالمسلم يعتقد ويجزم ويوقن حينما قال رسول الله ﷺ (من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلة) [١٠٠]، أن أي مسلم سيقول هذا التسبيح ويقبله الله منه، ستغرس له نخلة الآن في الجنة بفضل الله تعالى، وكذلك الحال بمن يعمل أعمالا تستوجب لفاعلها بيتا في الجنة، فيا له من فضل من الله عظيم طالما فرط فيه كثير من الناس.

إن غالب الناس اليوم يقضون كثيرا من أوقاتهم فيما لا ينفعهم في دنياهم ولا في آخرتهم، وإذا نُصحوا قالوا: ليس لدينا شغل، ونريد أن نلهو ونلعب كي نقتل هذا الفراغ ثم

---

(٩٨) رواه الإمام مسلم (١٨٨٤)، وأبو داود (١٥٢٩) والنسائي (٣١٣١)، وابن حبان واللفظ له (٨٦٣)، والحاكم (١٩٠٤)، والبيهقي (١٨٢٧٤).

(٩٩) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٢٠/٢)، والبخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥)، والدارمي (١٤٢٥)، وابن حبان (١٧٣٩)، والبيهقي (٢٠١٧)، وأبو يعلى (٧٢٦٥).

(١٠٠)رواه الترمذي (٣٤٦٤)، وابن حبان (٨٢٦)، والحاكم (١٨٨٨)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٦٣)، وأبو يعلى (٢٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٢٩).

يعللون – بحد زعمهم – أن هذا خير من الانشغال في غيبة الناس ولمزهم، وكأن الناس لا يملكون سوى تضييع الوقت أو التفكه في أعراض الناس، ولا يوجد لديهم خيار آخر.

إن المسلم لديه خيارات عديدة في استغلال وقته فيما ينفعه في دنياه وآخرته ولله الحمد، وإن الغافل من أوبق نفسه في شباك إبليس، فزين له الكسل والتقاعس عن صالح القول والعمل.

هنالك أعمال عديدة رُويَ عن النبي ﷺ أنه يثاب فاعلها بقصر في الجنة: مثل صلاة ركعتين بعد صلاة المغرب، أو ست ركعات، أو عشر ركعات، أو عشرين ركعة، وصلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة، وصيام الأربعاء والخميس والجمعة، وحفر قبر، وقراءة سورة الدخان ليلة الجمعة، والصلاة على النبي ﷺ ثلاث مرات، والمحافظة على أربع ركعات قبل العصر، وإخراج الأذى من المسجد، والصلاة في ليالي رمضان، ولمن عفا عن أخيه، ومن اعتكف في المسجد فيما بين المغرب والعشاء لا يتكلم إلا بصلاة أو قرآن، ومن عمل أربع خصال في يوم هي: الصيام واتباع جنازة وزيارة مريض والتصدق على مسكين، وقول دعاء النوم: (اللهم إليك أسلمت نفسي وفوضت أمري إليك وألجأت إليك ظهري، ووجهت إليك وجهي، رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت)، ومن كانت فيه أربع خصال هي: من كان عصمة أمره لا إله إلا الله، وإذا أصاب ذنبا قال: أستغفر الله، وإذا أعطي نعمة قال: الحمد لله، وإذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ونظرا لضعف سند هذه الأحاديث – وإن كانت من فضائل الأعمال وصح لمعظمها ثواب آخر ليس بقصر في الجنة – أكتفي بذكر الأحاديث التي صححها وحسنها العلماء رحمهم الله تعالى فيما يخص الأعمال التي ثوابها قصر في الجنة، فإنه ينبغي الاعتناء بها، والعمل بمقتضاها، سائلا المولى عز وجل أن لا يحرمنا منها.

العمل الأول: الإيمان بالله عز وجل وتصديق المرسلين

إن كل مؤمن بالله تعالى سيعطى خيمة في الجنة ليست كخيام الدنيا، وإنما هي فوق ما يتصوره العقل، وقد تم وصف هذه الخيمة وتقدير أبعادها في المبحث الرابع من الفصل السابق، حيث روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم

المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا) [١٠١].

وكلما زاد العبد في العمل الصالح رفعه الله درجة وزاده من النعيم والملك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وإذا وصل إيمان المرء إلى مرتبة الإحسان واليقين؛ نال الغرف العديدة في الدرجات الرفيعة، حيث روى سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده؛ وأقوام آمنوا بالله ورسوله وصدَّقوا المرسلين) [١٠٢]،

لقد ظن الصحابة رضي الله عنهم أن هذه الغرف تخص الأنبياء فقط، فأجاب رسول الله ﷺ بأنها كذلك ولأقوام غير النبيين هم ممن آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين.

قال ابن علان: وقوله (وصدَّقوا المرسلين): أي حق تصديقهم، وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسوله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك اهـ [١٠٣].

إن الإيمان بالله عز وجل لا يُنال بالأماني، وإنما هو شيء يَقَّرُ في القلب، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، يستجلب معه التصديق بكل ما وعد به الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ دون أدنى ريب، وهو شُعَب من الأقوال والأعمال تبلغ بضعا وسبعين شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

ولن يبلغ المسلم حقيقة الإيمان حتى يؤمن بالقدر الذي قدره الله تعالى خيره وشره، لما رواه أبو الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) [١٠٤].

ولذلك عندما سئل النبي ﷺ ذات يوم عن الإيمان ذكر أركانه قائلا: (أن تؤمن بالله

---

(١٠١) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٦٤) واللفظ لمسلم.

(١٠٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩٢/٢٤)، والبخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣١)، والترمذي واللفظ له (٢٥٥٦)، وابن حبان (٧٣٩٢)، وأبو يعلى (٧٥٢٨).

(١٠٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد بن علان الصديقي (٧٥٦/٤).

(١٠٤) رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني– (١٣٤/١)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والطبراني في الكبير (٣٣٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٥٠).

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) (١٠٥).

وأعجب الناس إيمانا من آمن بالله ورسوله ﷺ وهو لم يرى من ذلك شيئا، وإنما صدق ذلك واتبعه، اعتمادا على كتاب قرأه وأحاديث سمعها، فقد روى أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أي الخلق أعجب إيمانا)؟ قالوا: الملائكة، قال: (الملائكة كيف لا يؤمنون)، قالوا: النبيون، قال: (النبيون يوحى إليهم فكيف لا يؤمنون)؟ قالوا: الصحابة، قال: (الصحابة مع الأنبياء فكيف لا يؤمنون، ولكن أعجب الناس إيمانا؛ قوم يجيئون من بعدكم؛ فيجدون كتابا من الوحي فيؤمنون به ويتبعونه، فهم أعجب الناس إيمانا، أو الخلق إيمانا) (١٠٦).

وإن أفضل درجات الإيمان أن يعلم المرء بأن الله معه حيث كان، وإذا ارتقى المسلم بإيمانه بالله تعالى إلى درجة الإحسان؛ فلن يحتاج بعد ذلك إلى رقابة أحد من الناس، لأنه سيعلم يقينا أن الله تعالى رقيب عليه، فيساعده ذلك على صدق الاستقامة، ويأمن المجتمع من شره، بل ويكون فردا نافعا لنفسه ولمجتمعه.

فابحث يا رعاك الله عن وسائل تقوية الإيمان وتشبث بها لتحظى ليس بالقصور وإنما بالمساكن الطيبة في أعلى الجنان عند الكريم المنان، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

العمل الثاني: تقوى الله عز وجل

ومن يتق الله تعالى ينل الغُرف العالية والقصور الشاهقة في الدرجات العلى من الجنة، وهذه الغرف تتفاوت في الرفعة والمكانة والشرف، بتفاوت التقوى في القلوب، قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

وتقوى الله عز وجل هي الخوف من الله تعالى بأن تجعل بينك وبين ما تخشاه من غضب الله وعقابه وقاية، ويكون ذلك بأداء الفرائض واجتناب النواهي، قال عمر بن عبد

---

(١٠٥) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٦٣/١)، والبخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وأبو داود (٤٦٩٥)، وابن ماجه (٦٣)، وابن حبان (١٥٩)، وابن خزيمة (٢٢٤٤)، وأبو يعلى (٢٤٢)، والطبراني في الكبير (١٣٥٨١).

(١٠٦) رواه البيهقي في شعبه، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: رجاله ثقات (٣٢١٥).

العزيز رحمه الله تعالى: ليست التقوى قيام الليل وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى أداء ما افترض الله وترك ما حرم الله، فإذا كان مع ذلك عمل فهو خير إلى خير اهـ [١٠٧].

ومن هذا فيحتمل – والعلم عند الله تعالى – أنه كلما أدى المرء واجبا نال قصرا، وكلما اجتنب نهيا نال قصرا، لأن المتقي سيثاب بقصور عديدة وليس بقصر واحد، لأن الله تعالى قال: ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾، ولم يقل لهم غرفة واحدة.

ويعتبر تقوى الله عز وجل الميزان والفيصل الذي سيتفاضل به الناس يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وروى أبو ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال له: (انظر فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى) [١٠٨].

إن أكثر ما يُدخل المرء الجنة تقواه لله عز وجل حيث روى أبو هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: (تقوى الله وحسن الخلق)، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: (الفم والفرج) [١٠٩].

ولذلك أوصى النبي ﷺ الصحابة أفرادا وجماعات بتقوى الله عز وجل لأهمية ذلك، فقد روى أبو سعيد الخدري ﷺ أن رجلا جاءه فقال: أوصني، فقال: سَأَلْتَ عما سَأَلْتُ عنه رسول الله ﷺ من قَبْلِكَ فقال: (أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رَهْبَانِيَّةُ الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه رَوْحُكَ في السماء وَذِكْرُكَ في الأرض) [١١٠].

وروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لرجل: (أوصيك بتقوى الله والتكبير على

---

(١٠٧) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب (١/٢٥٤).

(١٠٨) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩/٢٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠٥).

(١٠٩) رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني – (١٦/٧٠)، والترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، والحاكم (٧٩١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٤)، وابن أبي الدنيا في الورع (١٣٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٣).

(١١٠) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩/٣٢)، وأبو يعلى (١٠٠٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٣).

كُلِّ شَرَفٍ) [١١١].

وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: (يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل والرفق؛ فإن الرفق لم يك في شيء قط إلا زانه ولم ينزع من شيء قط إلا شانه) [١١٢].

وروى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له (أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن) [١١٣].

ودعا ﷺ لرجل أن يزيده الله تقى، حيث ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أريد سفرا فزودني قال: (زودك الله التقوى)، قال: زدني، قال: (وغفر ذنبك)، قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال: (ويسَّر لك الخير حيثما كنت) [١١٤].

وروى بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيرا [١١٥].

وأوصى ﷺ كل الصحابة رضي الله عنهم بتقوى الله عز وجل، حيث روى العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الْمَهْدِيِّينَ، فتمسكوا بها وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وإياكم ومحدثات الأمور،

---

(١١١)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٥/٥٩)، والترمذي (٣٤٤٥)، وابن ماجه واللفظ له (٢٧٧١)، وابن حبان (٢٦٩٢)، والبيهقي (١٠٠٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٤٦).

(١١٢)رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني– (١٩/٨٤)، ومسلم (٢٥٩٤)، وأبو داود (٢٤٧٨)، وابن حبان (٥٥٠)، والبيهقي (٢٠٥٨٥).

(١١٣)رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني– (١٩/١٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٤).

(١١٤)رواه الترمذي (٣٤٤٤)، والدارمي (٢٦٧١)، وابن خزيمة (٢٥٣٢)، والحاكم (٢٤٧٧)، والطبراني في الأوسط (١٠٢٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧٩).

(١١٥)رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني– (١٤/٤٦)، ومسلم (١٧٣١)، والترمذي (١٤٠٨)، وأبو داود (٢٦١٢)، وابن حبان (٤٧٣٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٦٨٠)، والبيهقي (١٧٥٤٢).

فإن كل مُحْدَثَةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة) [١١٦].

إن النصيحة بتقوى الله عز وجل باتت مذمة عند بعض الناس وثقيلة على نفوسهم، وإن أبغض الكلام عند الله عز وجل رَدّ الرجل على من نصحه بتقوى الله بقوله: عليك نفسك، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: **عليك نفسك**) [١١٧].

فالذي سيجتنب المحرمات سيحظى بقصور عديدة، والذي سيؤدي الواجبات سيعطى أيضا قصورا عديدة، تلك ثمرة تقوى الله عز وجل في الآخرة، فمن اتقى الله عز وجل حق التقوى تجنب كل شر، واقترب من كل خير، وآواه الله تعالى القصور الشاهقة والغرف العالية في الجنة.

العمل الثالث: الصبر

ومن الأعمال العظيمة التي يمنح صاحبها القصور الشاهقة؛ الصبر، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨].

لقد بشر الحق تبارك وتعالى المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالغرف العالية في الجنة جزاء صبرهم، فهم صبروا على طاعة الله تعالى ولزموها، وصبروا عن محارم الله تعالى فاجتنبوها، وصبروا على أقدار الله تعالى المؤلمة واحتسبوها، فالصبر عون للعبد على كل خير، فهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، والصابرون يُوفَّوْنَ أجرهم بغير حساب.

فينبغي للمسلم أن يُصبِّر نفسه على ما يأتيه من مصائب ومحن في هذه الحياة سواء كانت في دينه أو دنياه، فالمؤمن لا بد أن يبتلى على قدر إيمانه؛ ليعلم الله صدق إيمانه وصبره، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ

---

(١١٦)رواه الإمام أحمد واللفظ له–الفتح الرباني– (١/١٨٨)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، والدارمي (٩٥)، والحاكم (٣٢٩)، والطبراني في الكبير (٦١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(١١٧)رواه النسائي في السنن الكبرى واللفظ له (١٠٦٨٥)، والطبراني في الكبير (٨٥٨٧)، والبيهقي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٣٩).

أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ{٢} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ{٣}﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

ولذلك نُهيَ المسلم أن يدعو على نفسه بالموت أو يتمناه؛ تخلصا من المصائب التي ألمَّت به؛ لأن ذلك كله ينافي الصبر، وليزداد أجره وينال تلك القصور العالية، حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال: النبي ﷺ: (لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي) [(١١٨)].

ومن أنواع الصبر الذي لا يفطن له كثير من الناس: الصبر عن متاع الدنيا الزائد وتجنب الترف خشية الوقوع في المكروه أو المحرم، فإن غالب الناس قد يصبر على الضراء، لكنه لا يصبر على السراء إذا فتحت عليه الدنيا، فقد روى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر [(١١٩)]، قال المباركفوري رحمه الله تعالى في قول عبد الرحمن بن عوف "فلم نصبر": أي اختُبِرْنا بالفقر والشدة والعذاب فصبرنا عليه، فلما جاءتنا الدنيا والسعة والراحة بطرنا اهـ [(١٢٠)].

ومن الوسائل التي تسلي المؤمن في مصيبته وتعينه على التصبر والرضا بقضاء الله تعالى وقدره عدة أمور منها:

(١) أن يعلم أن ما وقع عليه من مصيبة قد قدَّره الله تعالى قبل خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ{٢٢} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{٢٣}﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل

---

(١١٨)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٤٣/٧)، والبخاري واللفظ له (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠) والترمذي (٩٧١)، والنسائي (١٨٢١)، وأبو داود (٣١٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٥)، وابن حبان (٩٦٩)، والبيهقي (٦٣٥٧)، وأبو يعلى (٣٢٢٧).

(١١٩)رواه الترمذي (٢٤٦٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٠٥).

(١٢٠)تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (١٦٤/٧ ح٢٤٦٤)

أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)، قال: (وعرشه على الماء) [١٢١].

(٢) أن يتعرف على ثواب الصابرين، فالرسول ﷺ أخبر في العديد من الأحاديث ثواب الصبر، وكيف يتصرف الصابر إذا وقعت عليه مصيبة، ومن ذلك ما روته أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها)، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؛ أول بيت هاجر إلى رسول الله، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ، قالت: أرسل إليَّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتا وأنا غيور، فقال: (أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يُذهب بالغيرة) [١٢٢].

(٣) وأنه إذا أراد الثواب كاملا فعليه بالصبر والاحتساب عند الصدمة الأولى، وذلك لما رواه أبو أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يقول الله سبحانه: ابن آدم؛ إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى؛ لم أرض لك ثوابا دون الجنة) [١٢٣].

(٤) أن يُصَبِّرَ المؤمنُ أخاه في مصيبته، امتثالا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، فقد كان سلفنا يفعلون ذلك تأسيا بفعل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، حيث روى الترمذي رحمه الله تعالى عن أبي سنان رحمه الله تعالى قال: دفنت ابني سنانا، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلما أردت الخروج، أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟ قلت: بلى، فقال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عَرْزَبٍ عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟

---

(١٢١)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١/١٢١)، ومسلم واللفظ له (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦)، وابن حبان (٦١٣٨).

(١٢٢)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩/١٤٨)، ومسلم واللفظ له (٩١٨)، والترمذي (٩٧٧)، وأبو داود (٣١١٩)، والنسائي (١٨٢٥)، والحاكم (٦٧٥٩)، وأبو يعلى (٦٩٠٧)، والطبراني في الكبير (٤٩٧).

(١٢٣)رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني – (١٩/١٢٦)، وابن ماجه واللفظ له (١٥٩٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٣٥)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٢٩٨).

فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد) [١٢٤].

فهلا كنا من الصابرين على كل مصيبة لنفوز ليس بقصر واحد، وإنما بغرف عالية لم تر عين مثلها ولم تخطر على قلب بشر؟

العمل الرابع: التوكل على الله عز وجل

العمل الرابع لنيل قصور الجنة التوكل على الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨]، والغرف هي القصور الشاهقة.

والتوكل على الله تعالى عبادة وفريضة قلبية؛ معناها اعتماد المؤمن على الله عز وجل في كل عمل ديني ودنيوي والوثوق به، مع بذل الأسباب المشروعة دون ركون القلب إلى هذه الأسباب.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كُلها، وكِلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنعُ ولا يضرُّ ولا ينفع سواه اهـ [١٢٥].

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: يحصل التوكل بأن يثق بوعد الله ويوقن بأن قضاءه واقع، ولا يترك اتباع السُنَّة في ابتغاء الرزق مما لا بد له منه من مطعم ومشرب وتحرز من عدو بإعداد السلاح وإغلاق الباب ونحو ذلك، ومع ذلك فلا يطمئن إلى الأسباب بقلبه بل يعتقد أنها لا تجلب بذاتها نفعا ولا تدفع ضرا، بل السبب وَالْمُسَبِّب فعل الله تعالى والكل بمشيئته، فإذا وقع من المرء ركون إلى السبب قُدح في توكله اهـ [١٢٦].

ويرى ابن رجب رحمه الله تعالى بأن حقيقة التوكل تتجلى إذا اشتد الكرب وعظم وتناهى فحصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده [١٢٧].

فغير المسلم لا يعرف هذا التوكل لاعتماده في تصرفاته على الأسباب فقط؛ فتراه يعلق قلبه بها ويركن إليها، أما المؤمن فهو يأخذ بالأسباب لأنه مأمور بالأخذ بها، ولكنه

---

(١٢٤) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٣٥) واللفظ للترمذي.

(١٢٥) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب (٤٩٧/٢).

(١٢٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني(٤١٧/١١ ح ٦٥٤١).

(١٢٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٤٩٣/١).

مأمور أيضا بأن لا يعوّل عليها، وأن يبرأ من حوله وقوته لاعتقاده بأن الأمر كله بيد الله عز وجل، ألا ترى أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه، فإذا عزم على رأي واطمئن إلى صوابه؛ أمره تبارك وتعالى أن يعمل به متوكلا على الله لا على ذلك الرأي؟ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال الرازي رحمه الله تعالى: المعنى أنه إذا حصل الرأي المتأكد بالمشورة فلا يجب أن يقع الاعتماد عليه بل بجب أن يكون الاعتماد على إعانة الله وتسديده وعصمته، والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد على شيء إلا على الله في جميع الأمور اهـ (١٢٨).

لقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالتوكل عليه في بضع عشر موضعا من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، وكرر سبحانه وتعالى هذا الأمر للمؤمنين في بضع عشر موضعا آخر من كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن:١٣]، كما وصف تبارك وتعالى المؤمنين في بضع عشر موضعا آخر في القرآن بأنهم متوكلون عليه؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وفي ذلك كله دلالة على عظم منزلة التوكل عند الله عز وجل، فالإيمان بالله عز وجل لا يتحقق إلا بالتوكل على الرب جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

فكما تفرد الله تعالى بالعبادة؛ فيجب إفراده جل وعلا أيضا بالتوكل، فهو الوكيل؛ بل إن من أسمائه الحسنى الوكيل، لأنه الكافي لمن توكل عليه وفوض أمره إليه، ولهذا حرم علينا التوكل على غيره جل وعلا فقال محذرا: ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾ [الإسراء: ٢].

صور من توكل النبي ﷺ على ربه عز وجل:

لقد بَلَغَ النبي ﷺ الغاية في التوكل على الله عز وجل، إذ كان يُظهر توكله عليه في كل شؤونه.

---

(١٢٨) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي (٥٥/٩).

فقد كان ﷺ يُظهر توكله على ربه عز وجل عند خروجه من بيته، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: (بسم الله، تَوَكَّلْتُ على الله، اللهم إنا نعوذ بك من أن نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ، أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ علينا) (١٢٩).

وكان ﷺ يُظهر توكله على ربه عز وجل عند دخوله بيته، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله) (١٣٠).

وأظهر ﷺ توكله على ربه عز وجل في ركوعه فقال ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا ركع قال: (اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت، أنت ربي، خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين) (١٣١).

كما كان ﷺ يُظهر توكله على ربه في الصباح والمساء مستغيثا به لا بغيره، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: (ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) (١٣٢).

كما كان ﷺ يُظهر توكله على ربه عز وجل في الأزمات داعيا أن لا يوكل إلى نفسه طرفة عين، حيث روى أبو بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت) (١٣٣).

وكان ﷺ يُظهر توكله على ربه عز وجل عند نومه، حيث روى البراء بن عازب

---

(١٢٩)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٥٥/١٤)، والترمذي واللفظ له (٣٤٢٦)، والنسائي (٥٥٣٩)، والحاكم (١٩٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٨).

(١٣٠)رواه أبو داود (٥٠٩٦)، والطبراني في الكبير (٣٤٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٣٩).

(١٣١)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٧٣/٣)، ومسلم (٧٧١)، والنسائي واللفظ له (١٠٥١)، وابن حبان (١٩٠١)، وابن خزيمة (٦٠٧)، والبيهقي (٢٣٩٦).

(١٣٢)رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٤٠٥)، والحاكم (٢٠٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٢٠).

(١٣٣)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٤١/١٤)، وأبو داود (٥٠٩٠)، وابن حبان (٩٧٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به)، قال: فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك، قال: (لا ونبيك الذي أرسلت)(١٣٤)، فكأن رسولنا ﷺ يريد بهذا الدعاء الذي نختم به يومنا أن نقوله لا لكي ننام فحسب، وإنما نقوله لكي نستيقظ من غفلتنا ونثق بالله ربنا ونصرته للمؤمنين وأنه لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، وحق لمن إليه تصير الأمور ألا يُتخذ من دونه وكيلا.

وكان يُظهر ﷺ توكله على ربه عز وجل في تهجده، حيث روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا تهجد من الليل قال: (اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مالك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت **وعليك توكلت** وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا إله غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بك) (١٣٥).

لهذا كان ﷺ يُظهر توكله على ربه عز وجل في كل حين، حيث روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون) (١٣٦).

---

(١٣٤)رواه الإمام البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠)، والترمذي (٣٣٩٤)، وأبو داود (٥٠٤٦)، وابن حبان (٥٥٣٦)، وابن خزيمة (٢١٦).

(١٣٥)رواه الترمذي (٣٤١٨)، وأبو داود (٧٧١)، والنسائي (١٦١٩)، وابن ماجه واللفظ له (١٣٥٥)، والدارمي (١٤٨٦)، وابن حبان (٢٥٩٧)، وابن خزيمة (١١٥١)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٧٠٣)، والبيهقي (٤٤٤٢)، وأبو يعلى (٢٤٠٤)، والطبراني في الكبير (١٠٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١١١٤).

(١٣٦)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (٢٨٥/١٤)، والبخاري (٢٤٧)، وأبو داود (٥٠٤٦)، وابن حبان (٨٩٨)، والبيهقي (٤٤٤٢).

نَبيٌ هذا حاله في التوكل، فلا غرابة أن يسمى بالمتوكل ﷺ، حيث روى عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، **سميتك المتوكل**، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب – وهو الذي يرفع صوته ويحدث ضجيجا – في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا[١٣٧].

ولهذا أمرنا ﷺ بالتوكل على الله عز وجل حق توكله في كل أمورنا تأسيا به ﷺ، حيث روى عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) [١٣٨]، وحرم علينا التوكل على غيره جل وعلا.

ثواب التوكل على الله عز وجل في الدنيا:

وللمتوكلين على الله عز وجل حق توكله فضائل في الدنيا والآخرة، أما خير فضائلهم التي في الدنيا فتتمثل في:

(١) محبة الله لهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٢) أن الشيطان ليس له عليهم سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]، ومصداق ذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال له: حسبك، قد هديت وكفيت ووقيت، فيتنحى له الشيطان، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل

---

(١٣٧)رواه الإمام أحمد –المسند– (٦٦٢٢)، والبخاري (٢١٢٥)، والدارمي (٦)، والأدب المفرد للبخاري (٩٥)، والبيهقي (١٣٠٧٩).

(١٣٨)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٩٧/١٩)، والترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وابن حبان (٧٣٠)، والحاكم (٧٨٩٤)، وأبو يعلى (٢٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٤).

قد هدي وكفي ووقي؟) [١٣٩].

(٣) ذهاب الطيرة والتشاؤم عن العبد، لما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكنَّ الله يذهبه بالتوكل) [١٤٠].

(٤) طمأنينة قلب المتوكل بكفاية الله له، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق: ٣].

ثواب التوكل على الله عز وجل في الآخرة:

وللمتوكلين على ربهم عز وجل خير عظيم في الآخرة لقوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، وجاء عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أن سلمان وعبد الله بن سلام رضي الله عنهما التقيا فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيت ربك فأخبرني ماذا لقيت منه، وإن لقيته قبلك فأخبرتك، فتوفي أحدهما فلقيه صاحبه في المنام فقال: توكل وأبشر، فاني لم أر مثل التوكل قط، قالها ثلاث مرات[١٤١].

وخير ما يناله المتوكلون على ربهم عز وجل في الآخرة من فضائل تتمثل في:

(١) دخول الجنة بغير حساب، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (عرضت علي الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولِمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)، فقام إليه عُكَّاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: (اللهم اجعله منهم)، ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع الله

(١٣٩) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، وابن حبان (٨٢٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٩١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٩).

(١٤٠) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩٨/١٧)، والترمذي (١٦١٤)، وأبو داود واللفظ له (٣٩١٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، والحاكم (٤٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٠٩)، وأبو يعلى (٥٠٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٩٨).

(١٤١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٦٥٧).

أن يجعلني منهم، قال: (سبقك بها عُكَّاشة) [١٤٢].

(٢) الحصول على القصور الشاهقة في الجنة كما سبق ذكره.

وعلى الرغم من فضل التوكل على الله عز وجل ووجوبه وكثرة الآيات الواردة فيه، إلا أن الغالب من الناس لا يزالون يجهلون المفهوم الشرعي للتوكل ويظنون أنه قول باللسان فحسب، أو اعتقاد بالجنان مع إهمال الأخذ بالأسباب، ولا شك أن كلا المفهومين خاطئ وجهل بسنن الله عز وجل في هذا الكون الذي ربط المسببات بالأسباب، مما دفع الكثير من الناس إلى التفريط في شؤون حياتهم وترك الأمور تسير – كما يقولون – بحسب البركة، بل إلى تغليف كسلهم وعجزهم برداء التوكل [١٤٣].

---

(١٤٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢١٢/٢٣)، والبخاري واللفظ له (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠)، والترمذي (٢٤٤٦)، وابن حبان (٦٠٨٤)، والطبراني في الكبير (٣٨٠).

(١٤٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والفرق بين التوكل والعجز؛ أن التوكل عمل القلب وعبوديته اعتمادا على الله وثقة به والتجاء إليه وتفويضا إليه ورضا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم المتوكلين، وكان يلبس لامته ودرعه؛ بل ظاهر يوم أحد بين درعين، واختفى في الغار ثلاثا، فكان متوكلا في السبب لا على السبب. وأما العجز فهو تعطيل الأمرين أو أحدهما، فإما أن يعطل السبب عجزا منه ويزعم أن ذلك توكل، ولعمر الله إنه لعجز وتفريط، وإما أن يقوم بالسبب ناظرا إليه، معتمدا عليه، غافلا عن المسبب، معرضا عنه، وإن خطر بباله لم يثبت معه ذلك الخاطر، ولم يعلق قلبه به تعلقا تاما، بحيث يكون قلبه مع الله وبدنه مع السبب، فهذا توكله عجز وعجزه توكل.

وهذا موضع انقسم فيه الناس طرفين ووسطا، فأحد الطرفين عطَّل الأسباب محافظة على التوكل، والثاني عطل التوكل محافظة على السبب، والوسط علم أن حقيقة التوكل لا تتم إلا بالقيام بالسبب، فتوكل على الله في نفس السبب، وأما من عطل السبب وزعم أنه متوكل فهو مغرور مخدوع متمن؛ كمن عطل النكاح والتسري وتوكل في حصول الولد، وعطل الحرث والبذر وتوكل في حصول الزرع، وعطل الأكل والشرب وتوكل في حصول الشبع والري، فالتوكل نظير الرجاء، والعجز نظير التمني.

فحقيقة التوكل أن يتخذ العبد ربه وكيلا له قد فوض إليه كما يفوض الموكل إلى وكيله للعالم بكفايته نهضته ونصحه وأمانته وخبرته وحسن اختياره، والرب سبحانه قد أمر عبده بالاحتيال وتوكل له أن يستخرج له من حيلته ما يصلحه، فأمره أن يحرث ويبذر ويسعى ويطلب رزقه في ضمان ذلك كما قدره سبحانه ودبره واقتضته حكمته، وأمره أن لا يعلق قلبه بغيره؛ بل يجعل رجاءه له وخوفه منه وثقته به وتوكله عليه، وأخبره أنه سبحانه الملي بالوكالة الوفي بالكفالة، فالعاجز من رمى هذا كله وراء ظهره وقعد

إن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل؛ بل عدم الأخذ بها تواكل ومخالفة لأمر الله عز وجل، فعندما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ سائلا أيترك ناقته سائبة ويتوكل أم يعقلها؟ فقال له رسول الله ﷺ: (اعقلها وتوكل، اعقلها وتوكل) (١٤٤)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] الآية (١٤٥).

فإذا أردت أن تكون صادق التوكل على الله عز وجل في كافة شؤونك لتنال

كسلان طالبا للراحة مؤثرا للدعة يقول: الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه أجله وسيأتيني ما قدر لي على ضعفي، ولن أنال ما لم يقدر لي مع قوتي، ولو أني هربت من رزقي كما أهرب من الموت للحقني، فيقال له: نعم هذا كله حق وقد علمت أن الرزق مقدر، فما يدريك كيف قدر لك بسعيك أم بسعي غيرك؟ وإذا كان بسعيك فبأي سبب ومن أي وجه؟ وإذا خفي عليك هذا كله فمن أين علمت أنه يقدر لك إتيانه عفوا بلا سعي ولا كد؟ فكم من شيء سعيت فيه فقدر لغيرك؟ وكم من شيء سعى فيه غيرك فقدر لك رزقا؟ فإذا رأيت هذا عيانا فكيف علمت أن رزقك كله بسعي غيرك؟ وأيضا فهذا الذي أوردته عليك النفس يجب عليك طرده في جميع الأسباب مع مسبباتها حتى في أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، فهل تعطلها اعتمادا على التوكل أم تقوم بها مع التوكل؟ بل لن تخلو الأرض من متوكل صبر نفسه لله وملأ قلبه من الثقة به ورجائه وحسن الظن به فضاق قلبه مع ذلك عن مباشرة بعض الأسباب فسكن قلبه إلى الله واطمأن إليه ووثق به، وكان هذا من أقوى أسباب حصول رزقه فلم يعطل السبب، وإنما رغب عن سبب إلى سبب أقوى منه، فكان توكله أوثق الأسباب عنده فكان اشتغال قلبه بالله وسكونه إليه وتضرعه إليه أحب إليه من اشتغاله بسبب يمنعه من ذلك أو من كماله، فلم يتسع قلبه للأمرين فأعرض أحدهما إلى الآخر، ولا ريب أن هذا أكمل حالا ممن امتلأ قلبه بالسبب واشتغل به عن ربه، وأكمل منهما من جمع الأمرين وهي حال الرسل والصحابة، فقد كان زكريا نجارا، وقد أمر الله نوحا أن يصنع السفينة، ولم يكن في الصحابة من يعطل السبب اعتمادا على التوكل بل كانوا أقوم الناس بالأمرين، ألا ترى أنهم بذلوا جهدهم في محاربة أعداء الدين بأيديهم وألسنتهم وقاموا في ذلك بحقيقة التوكل، وعمروا أموالهم وأصلحوها وأعدوا لأهليهم كفايتهم من القوت اقتداء بسيد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه وآله أهـ. [الروح لابن القيم (٧٤٩/٢)].

(١٤٤)رواه الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ (٢٥١٧)، وابن حبان (٧٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٨).

(١٤٥)رواه الإمام البخاري واللفظ له (١٥٢٣)، وأبو داود (١٧٣٠)، وابن حبان (٢٦٩١)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٧٩٠)، والبيهقي (٨٤٣٣).

القصور الشاهقة في الجنة؛ فأظهر عجزك واعتمادك الكلي على الله جل وعلا، والزم الأمور التالية:

١) ابذل الأسباب المأمور بها ولا تعلق قلبك عليها البتة، إيمانا بأن الله وحده هو مصرف الأقدار.

٢) تأس بهدي رسول الله ﷺ بإعلان توكلك على الله عز وجل في صلاتك، وعند دخولك البيت والخروج منه وفي الصباح والمساء وعند الأزمات وفي غير ذلك مما ورد في السنة النبوية.

٣) دع الكي والاسترقاء متأسيا بصفات من سيدخل الجنة بغير حساب، فقد روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل)[١٤٦]، والاسترقاء هو طلب الرقية من الغير.

قال المناوي رحمه الله تعالى في قوله ﷺ (فقد برىء من التوكل): لفعله ما يسن التنزه عنه من الاكتواء لخطره، والاسترقاء بما لا يُعرف من كتاب الله لاحتمال كونه شركاً، أو هذا فيمن فعل معتمداً عليها لا على الله، فصار بذلك بريئاً من التوكل، فإن فَقَدَ ذلك لم يكن بريئاً منه، وقد سبق أنَّ الكي لا يترك مطلقاً ولا يُستعمل مطلقاً، بل عند تعينه طريقاً للشفاء وعدم قيام غيره مقامه، مع مصاحبة اعتقاد أن الشفاء بإذن الله تعالى والتوكل عليه، وقال ابن قتيبة: الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتلَّ؛ فهذا الذي قيل فيه: من اكتوى لم يتوكل، لأنه يريد أن يدفع القدر والقدر لا يدافع، والثاني كي الجرح إذا فسد والعضو إذا قطع، فهو الذي شرع التداوي فيه، فإن كان لأمر محتمل فخلاف الأولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لأمر غير محقق اهـ[١٤٧].

٤) التمس رضا الله وحده ولو سخط الناس عليك، كي لا توكل إلى الناس، لما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله

---

(١٤٦)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٦٦/١٧)، والترمذي (٢٠٥٥)، وابن ماجه (٣٤٨٩)، وابن حبان (٧٦٠٥)، والبيهقي (١٩٣٣٠)، والحاكم (٨٢٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١٩٣٣٠)، والطبراني في الكبير (٨٩٠)، والطيالسي (٦٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٨١).

(١٤٧)فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٨٢/٦).

الله إلى الناس) [١٤٨].

العمل الخامس: موالاة المؤمنين

والعمل الخامس لنيل القصور العالية في الجنة هو موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٧١} وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٧٢}﴾ [التوبة:٧٠-٧١].

إن أوثق عرى الإيمان الموالاة والحب في الله تعالى، والموالاة هي المودة والتحالف والتناصر قولا وعملا واعتقادا، وهو واجب بين المسلمين ويحرم أن يصرف لغيرهم [١٤٩].

وثَمة فرق بين الولاء والرحمة، فالرحمة تجوز للمسلم والكافر، والولاء لا يكون إلا للمسلم.

فالمؤمن الحق يجب عليه من منطلق الولاء والبراء أن يحب أهل الإسلام ولو كانوا بعيدين عنه نسبا ووطنا، يمنحهم ولاءه ويناصرهم ويهتم بأحوالهم ويشاركهم آلامهم، ويكونَ معهم حالَ العسر واليسر والشدّة والرخاء، ويحرم عليه أن يوالي أعداء الله ضد أهل الإسلام، وكل رابطة جاهلية يعطي الناس ولاءهم على أساسها؛ هي رابطة باطلة، فلا ولاء لأجل القومية أو الوطنية أو الإنسانية، قال الله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ{٨٠} وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَـكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ{٨١}﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

وقد دلت السنة النبوية على وجوب موالاة المسلمين بعضهم لبعض حيث روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)

(١٤٨)رواه الترمذي (٢٤١٤)، وابن حبان (٢٧٦)، والطبراني في الكبير (١١٦٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٩٧).

(١٤٩) انظر بتوسع: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، لمحماس بن عبدالله الجلعود، رسالة ماجستير.

[١٥٠]، وفي رواية له ﷺ عند الإمام أحمد قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسهر).

وروى أبو موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا)، وشبك أصابعه [١٥١].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل) [١٥٢].

فمن والى المؤمنين نال القصور العالية؛ بل القصور الطيبة التي في أعلى الجنان، ومن والى غيرهم حشر معهم يوم القيامة وخسر قصورا لم تخطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

العمل السادس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والعمل السادس لنيل القصور العالية في الجنة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٧١} وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٧٢}﴾ [التوبة: ٧٠-٧١].

وتأمل في الآية السابقة كيف أن الله تعالى قدَّم في الذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ركنين من أركان الإسلام؛ هما الصلاة والزكاة، مما يدل على أهميته وعظم شأنه، فهو الدرع الواقي للمجتمع من الانزلاق نحو الانحراف أو وقوع العذاب عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]،

---

(١٥٠) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٦٨/١٩)، والبخاري (٦٠١١)، ومسلم واللفظ له (٢٥٨٦)، وابن حبان (٢٣٣)، والبيهقي (٦٢٢٣).

(١٥١) رواه الإمام البخاري واللفظ له (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)، والترمذي (١٩٢٨)، والنسائي (٢٥٦٠)، وابن حبان (٢٣١)، والبيهقي (١١٢٩١).

(١٥٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٥٣٧)، والبيهقي (٢٠٨٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٣٩).

لقد طلب الإسلام من كافة الأمة أن يكونوا حراسا للدين بإنكار المنكر بأيديهم أو بألسنتهم أو بقلوبهم، فمن واجب المسلم إذا رأى منكرا أن يغيره قدر استطاعته، حيث روى أبو بكر بن أبي شيبة رحمه الله تعالى قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد تُرِكَ ما هُنالك، فقال أبو سعيد الخدري ﷺ: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان) [١٥٣].

وبلغ حرص الإسلام على إنكار المنكر أن منع الناس من إعلان منكراتهم وفسقهم في طرق المسلمين، وأن يؤخذ على يد كل من فعل ذلك، واعتبر ذلك حقا للطريق العام، حيث جاء عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إياكم والجلوس بالطرقات)، فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها، فقال: (إِذْ أَبَيْتُمْ إلا المجلس؛ فأعطوا الطريق حَقَّهُ)، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: (غض البصر، وكف الأذى، وَرَدُّ السلام، وَالْأَمْرُ بالمعروف وَالنَّهْيُ عن المنكر) [١٥٤].

لقد منح الله تعالى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الأجور العظيمة؛ لأن هذا العمل من أحب الأعمال إلى الله تعالى، فقد روى رجل من خثعم ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: (نعم)، قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (الإيمان بالله)، قال: قلت: يا رسول الله ثم مَهْ؟ قال: (ثم صلة الرحم)، قال: قلت: يا رسول الله ثم مَهْ؟ قال: (ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: (الإشراك بالله)، قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: (ثم قطيعة الرحم)، قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: (ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف) [١٥٥].

وروى عبد الرحمن الحضرمي رحمه الله تعالى قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ

---

(١٥٣)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٠٩/١٦)، ومسلم واللفظ له (٤٩)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبو داود (١١٤٠)، وابن ماجه (١٢٧٥)، وابن حبان (٣٠٧)، وأبو يعلى (١٠٠٩).

(١٥٤) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٦٤/١٩)، والترمذي (٢١٦٨)، وأبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه واللفظ له (٤٠٠٥)، وابن حبان (٥٩٥)، والحاكم (٧٦٨٨)، والبيهقي (١٣٢٩١)، وأبو يعلى (١٢٤٧)، والطبراني في الكبير (٤٧٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٤).

(١٥٥) رواه أبو يعلى (٦٨٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢٢).

يقول: (إن من أمتي قوما يعطون مثل أجور أولهم؛ ينكرون المنكر) (١٥٦).

وروى حذيفة بن اليمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره؛ يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (١٥٧).

وإذا تقاعس أفراد المجتمع عن إنكار المنكر وهم قادرون على تغييره أوشك الله أن يعمهم بعقاب جزاء تفريطهم بهذا الواجب، قال أبو بكر الصديق ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه) (١٥٨).

ويتضمن هذا العقاب عدم استجابة الله دعاءهم في كشف ما حل بهم من عقوبة وعذاب، حيث روى حذيفة بن اليمان ﷺ أن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف وَلَتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو لَيُوشِكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده؛ ثم لَتَدْعُنَّهُ فلا يَسْتَجِيبُ لكم) (١٥٩).

ومن أعظم الناس جرما من يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم يفعل خلاف ذلك، فإن عذابه سيكون أليما وفريدا يلفت أنظار أهل النار؛ لأنه سيقذف في النار ليصطدم في أرضها ويرتطم بها ارتطاما شديدا تندلق معه أمعاؤه ثم يدور حولها كما يدور الحمار حول الرحى، فقد روى أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه) (١٦٠).

فتأمل كيف أن هؤلاء الناس كلهم يحترقون في النار، والذي هم فيه يشغلهم

---

(١٥٦) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٧٢/١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٠٠).

(١٥٧) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣٩/٢٤)، والبخاري (١٤٣٥)، ومسلم واللفظ له (١٤٤)، والترمذي (٢٢٥٨)، وابن ماجه (٣٩٥٥)، وابن حبان (٥٩٦٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٢٧).

(١٥٨) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٣٤/١٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وابن حبان (٣٠٤)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٥٧)، والبيهقي (١٩٩٨٠)، وأبو يعلى (١٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٤).

(١٥٩) رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني– (١٧٢/١٩)، والترمذي (٢١٦٩)، والبيهقي (١٩٩٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(١٦٠) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٧٢/١٩)، والبخاري واللفظ له (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

بأنفسهم عن غيرهم، ومع ذلك فقد اجتمعوا حول ذلك الداعية الذي خرجت أمعاؤه، وقد شبه بالحمار، إذ لا غباء أعظم من أن يعلم المرء الحق ويدعو الناس إليه، ثم لا يعمل به، وقد فضحه الله تعالى حين جمعه مع بعض أتباعه الذين كانوا يستمعون لمواعظه ولكنهم لم يمتثلوا، ليزدادوا جميعا وعلى مرأى من بعضهم فضيحة وعذابا، فالداعية كان يعلم الحق ويعلِّمه لغيره، ولكنه لم يعمل به، وهؤلاء الأتباع كانوا يسمعون العلم والوعظ ولكنهم لم يعملوا بما سمعوا وعلموا. فاستحقوا جميعا نارا حامية، وخسروا قصورا عالية.

فلذلك إذا رأيت منكرا فغيره بيدك، فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، واحذر أن تَفرُطَ من أحد هذه الحالات الثلاث، فيضمحل إيمانك وتخسر درجة عالية في الجنة وتخسر قصرا مشيدا من قصورها الشاهقة.

العمل السابع: إقامة الصلاة

والعمل السابع لنيل القصور العالية في الجنة هو إقامة الصلاة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٧١} وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٧٢}﴾ [التوبة: ٧٠-٧١].

ونلاحظ أن الله تعالى لم يقل: ويُصلُّون، وإنما قال ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾، وإقامة الصلاة تعني كما ذكر أهل التفسير: القيام بحقها على شروطها، وألا يقع خطأ أو تفريط في شيء من أركانها وواجباتها وسننها، فالصلاة خير موضوع عند الله تعالى، وهي الركن الوحيد الذي فرضه الله عز وجل على نبيه ﷺ في السماء حين عُرِج به، وهي أول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة، فإذا صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، ولذلك كان حظ الصلاة من الأجور الشيء الكثير، فهي تغسل العبد من ذنوبه، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، وتنير له طريقه على الصراط يوم القيامة، وترفع درجته في الجنة، ويزداد ثواب هذه الصلاة إلى سبعة وعشرين ضعفا إذا أديت في المسجد مع الجماعة، بل ويُعدُّ لصاحبها نزلا في الجنة كلما غدا أو راح إلى المسجد لأدائها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من غَدَا إلى المسجد أو رَاحَ، أَعَدَّ الله له في الجنة نُزُلًا كلما

غدا أو راح) [١٦١]، والنزل هو ما يُعدُّ للضيف عند قدومه من ضيافة ونحوه، والضيف يُعدُّ له في العادة: الطعام والشراب والإقامة.

ولذلك يحتمل أن كل من غدا أو راح إلى المسجد لقصد العبادة أُعدَّ له بيت في الجنة والعلم عند الله تعالى.

العمل الثامن: إيتاء الزكاة

والعمل الثامن لنيل القصور العالية في الجنة هو إيتاء الزكاة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٧١} وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٧٢}﴾ [التوبة: ٧٠-٧١].

والزكاة ركن من أركان الإسلام فرضه الله تعالى على كل من ملك نصابا من أنواع المال، ولقد وُعد المتصدقون والمنفقون بالثواب المعجل والمؤجل لهم.

فمن الثواب المُعجَّل أن من أنفق شيئا من ماله فقد وقاه شح نفسه، وأذهب عنه شره، ودعا له ملكان بالخلف في ماله، بل وُوعد بنماء ذلك المال إما في الدنيا أو في الآخرة أو في كلتيهما، حيث روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) [١٦٢].

قال النووي رحمه الله تعالى قَوْله ﷺ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَة مِنْ مَال) ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه أنه يُبَارَك فيه، وَيَدْفَع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية، وهذا مُدرك بالحس والعادة، والثاني أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المترتب عليه جبر لنقصه، وزيادة إلى أضعاف كثيرة، وقد يكون المراد الوجهين معا في

(١٦١)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣/٥٠)، والبخاري (٦٦٢)، ومسلم واللفظ له (٦٦٩)، وابن حبان (٢٠٣٧)، وابن خزيمة (١٤٩٦)، والبيهقي (٤٧٥٠).

(١٦٢)رواه الإمام مالك (١٨٨٥)، وأحمد –الفتح الرباني– (١٩/٨٣)، ومسلم واللفظ له (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩)، والدارمي (١٦٧٦)، وابن حبان (٣٢٤٨)، وابن خزيمة (٢٤٣٨)، والبيهقي (٧٦٠٦)، وأبو يعلى (٦٤٥٨).

جميعها في الدنيا والآخرة اهـ [١٦٣].

وأما الثواب المؤجل للزكاة فهو تكفير السيئات، وتثقيل الموازين، والاستظلال يوم الإغراق، والنجاة من كرب الصراط عند المرور عليه، ثم المبيت في قصور عالية ومساكن طيبة في أعلى درجات الجنان.

ومن كنز ماله أو أنفقه على شهواته محجما عن دفع زكاته، فقد بخل على نفسه وأضرها، ومآل هذا المال لورثته، لهم غُنمه وعليه غُرمه؛ لأن ماله الحقيقي ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن يوم القيامة ذو حسرات، وإن أعظم الحسرات غدا أن يرى أحدكم ماله في ميزان غيره، أوَ تدرون كيف ذاكم؟ رجل آتاه الله مالا، وأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله، فبخل به، فورثه هذا الوارث، فهو يراه في ميزان غيره، فيا لها عثرة لا تقال وتوبة لا تنال [١٦٤].

وإذا عم الشح في الناس ومنعوا زكاة أموالهم؛ عمَّهم الله تعالى بعقاب من عنده ومنع عنهم الأمطار، جاء ذلك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن.... ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ....) [١٦٥].

وأما العذاب المؤجل الذي سينتظر مانع الزكاة فهو العذاب في عرصات يوم القيامة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة أو النار، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها؛ إلا إذا كان يوم القيامة؛ صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؛ حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)، قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: (ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها؛ ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاع قَرْقَرٍ أوفر ما كانت؛ لا يفقد منها فصيلا واحدا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاها رد

---

(١٦٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٣٧٨ ح ٢٥٨٨).

(١٦٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٢/١٤٥).

(١٦٥)رواه ابن ماجه واللفظ له (٤٠١٩)، والطبراني في الكبير (١٠٩٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٦١).

عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد؛ فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار....) (١٦٦).

فقدم لنفسك من قبل أن تُسأل يوم القيامة فتندم، ولات ساعة مندم، يوم يُسأل المرء: أين ما قدمت لنفسك؟ ويقول المقصر: يا ليتني قدمت لحياتي، روى عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال: (... يقي أحدكم وجهه حر جهنم أو النار ولو بتمرة، ولو بشق تمرة، فإن أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم: ألم أجعل لك سمعا وبصرا؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أجعل لك مالا وولدا؟ فيقول: بلى، فيقول: **أين ما قدمت لنفسك**؟ فينظر قدامه وبعده، وعن يمينه وعن شماله، ثم لا يجد شيئا يقي به وجهه حر جهنم، ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة) (١٦٧).

وفي رواية فيها ضعف عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَجٌ – هو ولد الضأن، والمعنى حقيرا ذليلا – فيوقف بين يدي الله، فيقول الله له: أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك، فماذا صنعت؟ فيقول: يا رب جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ فتركته أكثر ما كان، فارجعني آتك به، فيقول له: أرني ما قدمت، فيقول: يا رب جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ فتركته أكثر ما كان، فارجعني آتك به كله، فإذا عبد لم يُقَدِّمْ خيرا، فَيُمْضَى به إلى النار) (١٦٨).

فالذي يقدم زكاته وصدقته للفقراء والمحتاجين يهبه الله قصورا عالية في جنات عدن، والجزاء من جنس العمل، فكما آوى بنفقته أُسرا وكفلهم وجمع شملهم وستر حالهم فإن الله تعالى سيستره من نار حامية، ويؤويه مساكن طيبة في جنة عالية قطوفها دانية.

العمل التاسع: طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ

والعمل التاسع لنيل القصور العالية في الجنة هو طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ لقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٧١} وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ

---

(١٦٦)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩٣/٨)، ومسلم واللفظ له (٩٨٧)، والنسائي (٢٤٤٢)، وأبو داود (١٦٥٨)، وابن حبان (٣٢٥٣)، وابن خزيمة (٢٢٥٢)، والبيهقي (٧٠١٧).

(١٦٧)رواه الترمذي (٢٩٥٤)، والطبراني في الكبير (٢٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨١٤٧).

(١٦٨)رواه الترمذي وضعفه (٢٤٢٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٣١٤).

خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٧٢}﴾ [التوبة: ٧٠-٧١].

لقد نزلت هذه الآيات الكريمات مقابلة لبعض صفات المنافقين والمنافقات في نفس السورة حيث قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ{٦٧} وَعَدَ اللهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ{٦٨}﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨].

وقد تعددت أقوال المفسرين في توجيه معنى قوله تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾:

فقال الألوسي رحمه الله تعالى: أي في سائر الأمور في مقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة، وقيل: هو في مقابلة ﴿ نَسُواْ اللّهَ﴾ اهـ[١٦٩].

وقال الرازي رحمه الله تعالى: والمنافق إذا أمره الله ورسوله بالمسارعة إلى الجهاد فإنه يتخلف بنفسه ويثبط غيره كما وصفه الله بذلك، والمؤمنون بالضد منهم، وهو المراد في هذه الآية بقوله: ﴿وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾اهـ[١٧٠].

وقال السمرقندي رحمه الله تعالى: يعني يطيعون الله في فرائضه ويطيعون الرسول في السنن وفيما بيَّن اهـ[١٧١].

وقال أبو محمد بن عطية رحمه الله تعالى: قال القاضي أبو محمد: وبحسب هذا تكون ﴿الزَّكَاةَ﴾ المفروضة، والمدح عندي بالنوافل أبلغ، إذ من يقيم النوافل أحرى بإقامة الفرض، وقوله ﴿وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ جامع للمندوبات اهـ[١٧٢].

ومن ذلك نخلص من تلك الأقوال – والعلم عند الله تعالى – إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هو:

١- يحرصون على المندوبات وفضائل الأعمال.

٢- يسارعون إلى الطاعة ويبادرون إليها ولا يتقاعسون ولا يتخلفون عنها ولا يثبطون الغير عنها، خاصة الجهاد.

---

(١٦٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي (١٣٥/١٠).

(١٧٠) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد الرازي (١٠٥/١٦).

(١٧١) بحر العلوم للسمرقندي (٧٢/٢).

(١٧٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (٥٨/٣).

٣- يتذكرون الأوامر والنواهي ويطبقونها ويعظمونها ولا يهملونها أو ينسونها.

٤- يطيعون الله تعالى في كل ما أمر ونهى، ولا يكونون ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

فكن ممن يتصف بهذه الصفات الحميدة كلها، يكن لك ذلك المسكن الطيب والقصر المشيد عند الحميد المجيد، ولا تكن ممن نسي الله تعالى، فينسيك الله نفسك.

العمل العاشر: سد الفرج في الصلاة

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من سد فرجة رفعه الله بها درجة، وبنى له بيتا في الجنة) (١٧٣)، إنه عمل يسير وغنيمة باردة أن تسد فرجة في الصف ليبنى لك بها بيت في الجنة، ولكن كثيرا من الناس يزهدون هذا العمل، ولا ينتبهون إلى عظم ثوابه حين يأمرهم الأئمة بتسوية الصفوف وسد الخلل.

كما أن لسد الفرج في الصلاة فضل آخر يتمثل بثناء الله جل وعلا على فاعلها ودعاء الملائكة له بالرحمة، لما روته عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله وملائكته يُصلُّون على الذين يَصِلُون الصفوف....) (١٧٤). وأحب خطوة إلى الله عز وجل؛ خطوة يمشيها العبد لسد فرجة في الصف، لما رواه البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله وملائكته يُصَلُّونَ على الذين يَلُونَ الصفوف الأُوَلَ، وما من خُطوة أحب إلى الله من خُطْوَةٍ يمشيها يَصِلُ بها صفا) (١٧٥)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (خياركم ألينكم مناكب في الصلاة، وما من خُطوة أعظمُ أجرا من خُطوة مشاها رجلٌ إلى فُرجةٍ في الصف فسدَّها) (١٧٦).

وعندما فطن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى هذا الفضل الكبير لسد الفرج في الصلاة قال: لئن تقع ثنيَّتاي أحب إليَّ من أن أرى فرجة في الصف أمامي فلا أصلها

---

(١٧٣)رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له (٥٧٩٧)، وابن أبي شيبة (٣٨٢٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٥٠٥).

(١٧٤)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (٥/٣٢٠)، وابن ماجه (٩٩٥)، وابن حبان (٢١٦٣)، وابن خزيمة (١٥٥٠)، والحاكم (٧٧٥)، والبيهقي (٤٩٦٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح (٥٠١).

(١٧٥)رواه أبو داود واللفظ له (٥٤٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٥٠٧).

(١٧٦)رواه الطبراني في الأوسط (٥٢٤٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٥٠٤).

.[177]

ولك أن تسأل: ما الحكمة أن تكون كل هذه الفضائل لأجل سد فرجة صف في الصلاة؟

والجواب: لأن سد الفرج في الصلاة له فوائد عديدة منها ما يلي:

(١) حتى لا يدخل الشيطان بين المصلين فيقلُّ بذلك وسواسه عليهم، فعن أبي أمامة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (سووا صفوفكم، وحاذوا بين مناكبكم، ولينوا في أيدي إخوانكم، وسدوا الخلل؛ فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحَذَف) [178]، والحذف هي أولاد الضأن الصغير.

(٢) لكي تزداد المحبة والألفة بين المسلمين فلا تختلف قلوبهم، فعن البراء بن عازب ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يأتي الصف من ناحية إلى ناحية، يمسح مناكبنا أو صدورنا ويقول: (لا تختلفوا؛ فتختلف قلوبكم) [179]، وعن النعمان بن بشير ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يُسَوِّي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح، حتى رأى أنا قد عَقَلْنا عنه، ثم خرج يوما فقام حتى كاد يكبر، فرأى رجلا باديا صدره من الصف، فقال: (عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم) [180]، فكأن رسول الله ﷺ ربط أحد أسباب اختلاف القلوب لاختلاف مواضع الأقدام وعدم تراصها في الصف للصلاة، وهذا أمر غاب عن كثير من المسلمين عموما والمصلحين خصوصا، قال النووي رحمه الله تعالى: والأظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال تَغَيَّرَ وَجْه فلان عَلَيَّ أَي ظَهَرَ لِي مِنْ وَجْهه كَرَاهَة لِي

---

(١٧٧) كتاب بسط الكف في إتمام الصف للسيوطي (صفحة ٣١).

(١٧٨) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٥/٣١٤)، وأبو داود (٦٦٧)، والنسائي (٨١٥)، وابن حبان (٢١٦٦)، وابن خزيمة (١٥٤٥)، والبيهقي (٤٩٦٧)، والطبراني في الكبير (٧٧٢٧)، وأبو يعلى (٢٦٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٩١).

(١٧٩) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٥/٣١٠)، ومسلم (٤٣٢)، والترمذي (٢٢٨)، وأبو داود (٦٦٤)، والنسائي (٨١١)، وابن ماجه (٩٧٦)، والدارمي (١٢٦٦)، وابن خزيمة (١٥٤٢)، وابن حبان (٢١٦١)، والحاكم (٢١١٢)، أبو يعلى (٥١١١)، والطبراني في الكبير (٥٩٠).

(١٨٠) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٥/٣٠٩)، والبخاري (٧١٧)، ومسلم واللفظ له (٤٣٦)، والترمذي (٢٢٧)، وأبو داود (٦٦٣)، وابن حبان (٢١٦٥)، والبيهقي (٢١٢٣).

وَتَغَيَّرَ قَلْبه عَلَيَّ، لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن اهـ[١٨١]، وذكر السيوطي رحمه الله تعالى أن تسوية الصفوف تطلق على أمرين: اعتدال القائمين على سمت واحد، وسد الخلل في الصف اهـ [١٨٢].

(٣) لكي نتشبه بصفوف الملائكة حيث إنها تصف وتتراص في الصف أمام ربها عز وجل، فعن جابر بن سمرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يُتمون الصفوف الأُوَلَ، ويتراصون في الصفوف) [١٨٣].

(٤) لا يعرف الناس فائدة سد الفرج في الصلاة إلا في أوقات الزحام الشديد خصوصا في الحرم المكي والمدني، فإننا نرى كثيرا من الناس في أوقات المواسم وفي الحرمين الشريفين خصوصا يصلون عند الأبواب الخارجية للمسجد ولا يتمكنون من الصلاة بالداخل، في حين لو دخلت داخل المسجد لوجدت أماكن فارغة كثيرة، فلو حرص الذين بالداخل على سد الفرج ووصل الصفوف لما كانت هناك مزاحمة على الأبواب وحرمان لخلق كثير من الصلاة في الصفوف المتقدمة داخل المسجد.

إن المتأمل في هذا الحديث يفهم منه: أن الذي سيفرط في سد فرجة سيخسر مغفرة، ورحمة، ودرجة عند الله تعالى، وقصرا مشيدا، فما بالك بالذي يترك الصلاة بالكلية فماذا عساه أن يخسر يا ترى؟ ألا يخسر الجنة بكاملها؟ فلا شك إذا أن تارك الصلاة بالكلية كافر؛ لأنه سيخسر الجنة برمتها ولن يدخلها، ومن هذا الحديث النبوي لعلنا ندرك خطورة ترك الصلاة وأن من تركها فقد كفر.

وتوجد شريحة كبيرة من الناس لديها حساسية زائدة ضد كلمة كفر أو كلمة حرام، فترى الواحد من هؤلاء يغضب إذا قيل له: إن ذلك الأمر حرام، أو إن تارك الصلاة كافر.

فمراعاة لمشاعر أولئك المتهربين من الاستجابة لأوامر الشرع الحكيم، أَدَعُ لهم الحكم بأنفسهم على تارك الصلاة من طريق غير مباشر، هو طريق: **فويل للمصلين**، وهو

---

(١٨١) صحيح مسلم بشرح النووي (٤/٤٠٤ ح ٤٣٦).

(١٨٢) بسط الكف في إتمام الصف للسيوطي (صفحة ٢٦).

(١٨٣) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٥/٣١١)، ومسلم (٤٣٠)، وأبو داود (٦٦١)، والنسائي (٨١٦)، وابن ماجه (٩٩٢)، وابن حبان (٢١٥٤)، وابن خزيمة (١٥٤٣)، والبيهقي (٤٩٧٠).

تهديد وتحذير استخدمه رب العالمين في كتابه الكريم؛ لتحذير المصلين من إثم تأخير الصلاة عن وقتها، حيث قال جل وعلا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ{٤} الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ{٥}﴾ [الماعون: ٤-٥]، فهذا الويل للمصلين – وهو تهديد عظيم – فماذا أُعِدَّ لغير المصلين من تهديد يا ترى؟

سأسرد لك أيها القارئ الكريم بعض الأحاديث النبوية التي تعرفها أنت، ولعلك سمعتها كثيرا في المساجد، لتحكم من خلالها بنفسك على تارك الصلاة، فكن منصفا وقاضيا عادلا، ولنتعرف جميعا على العقاب الذي توعده الله تعالى لبعض المصلين، ثم لنقس عليه بعد ذلك عقاب غير المصلين:

(١) فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنا بماء بالطريق، تعجل قوم عند العصر، فتوضؤوا وهم عجال، فانتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء، فقال رسول الله ﷺ: (ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء) [١٨٤]، هذا هو عقاب من حرص على إدراك أول الصلاة، توضأ وذهب إلى المسجد وصلى، ولكنه فرَّط في غسل جزء من أحد أعضائه، فلم يحسن غسله، فبشَّره رسول الله ﷺ بالنار، فما بالك بمن لم يتوضأ، ولم يمس ماء الوضوء بشرته، ولم يصلِّ؟ فبم عساه أن يُبشر؟

(٢) وشاهد رسول الله ﷺ ذات يوم أناسا يتأخرون عن الصف الأول، وليس عن الصلاة فحسب، فحذرهم من مغبة هذا الأمر، فماذا قال لهم؟ روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار)[١٨٥]، فإذا كان هذا جزاء من يتأخر دائما عن الصف الأول، فما ظنك بمن لا يحضر الصلاة، ويتقاعس عنها؟ وبم عساه أن يُحذَّر؟

(٣) وأنذر رسول الله ﷺ من لا يتم ركوعه وسجوده ويستعجل في صلاته؛ بالموت على غير الفطرة، فعن أبي عبد الله الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلا لا يتم

---

(١٨٤) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٤٢/٢)، والبخاري (٦٠)، ومسلم (٢٤١)، وأبو داود (٩٧)، والترمذي (٤١)، والنسائي (١١١)، وابن ماجه (٤٥١)، والدارمي (٧٠٦)، والحاكم (٥٨٠)، والبيهقي (٣٣١)، والطبراني في الكبير (٨١٠٩).

(١٨٥) رواه أبو داود واللفظ له (٦٧٩)، وابن حبان (٢١٥٦)، والبيهقي (٤٩٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٩٩).

ركوعه، وينقر في سجوده، وهو يصلي، فقال رسول الله ﷺ: (لو مات هذا على حاله هذه؛ مات على غير ملة محمد ﷺ) [١٨٦]، فكيف بالذي لا يصلي، فعلى أي ملة سيموت يا ترى والعياذ بالله؟

(٤) وحذر المصطفى ﷺ المصلي الذي أجهد نفسه فتوضأ وأتى إلى المسجد وصلى ولكنه كان يرفع رأسه قبل الإمام، حذره من خطورة هذا التصرف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أما يخشى أحدكم، أو لا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام؛ أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار؟) [١٨٧].

(٥) وأخبر النبي ﷺ أن عبدا عذب في قبره لأنه أدى صلاة واحدة بغير وضوء، فكيف بمن لم يعرف الصلاة؟ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أُمر بعبد من عباد الله يضرب في قبره مئة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارا، فلما ارتفع عنه وأفاق قال: علام جلدتموني؟ قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره) [١٨٨].

(٦) كما أخبر النبي ﷺ أنه لا يعرف أمته يوم القيامة إلا بالغُرَّة والتَّحجيل، فمن لم يتوضأ، ولم يصلِّ، فلعله يحشر مع الأمم الأخرى والعياذ بالله، ولا يحشر مع الأمة المحمدية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا)، قالوا: أولسنا نحن إخوانك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد)، قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ قال: (أرأيت لو أن رجلا له خيل غرٌّ مُحجلة بين أظهر خيل دهم، - جمع أدهم وهو الأسود - بُهْم - الذي لا يخالط لونه لونا آخر - ألا يعرف خيله)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال:

---

(١٨٦) رواه الطبراني في الكبير واللفظ له (٣٨٤٠)، وأبو يعلى (٧١٨٤)، وابن خزيمة (٦٦٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٢٨).

(١٨٧) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٩٠/٤)، والبخاري واللفظ له (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧)، وأبو داود (٦٢٣)، والترمذي (٥٨٢)، والنسائي (٨٢٨)، وابن ماجه (٩٦١)، والدارمي (١٣١٦)، وابن خزيمة (١٦٠٠)، والبيهقي (٢٤٣٢).

(١٨٨) رواه الطحاوي، وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوبيخ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده جيد (٢٧٧٤)، ثم قال في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٢٢٣٤).

(فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض) (١٨٩)، فمع أي أمة سيحشر غير المصلي يا ترى؟

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما فقال: (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبي بن خلف) (١٩٠)

هل عرفت أخي المسلم الآن من هذه الأحاديث – التي أظن أنك تعرفها – بعض العذاب الذي توعده الله جل وعلا لبعض المصلين؟ فاحكم أنت الآن بالعدل، وقل بصدق وموضوعية، عن حكم تارك الصلاة، والمرء خصيم نفسه، وتدبر في أول جواب قاله المجرمون حينما سُئلوا وهم في النار عن سبب دخولهم فيها، فقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ{٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ{٤٣} وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ{٤٤} وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ{٤٥} وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ{٤٦} حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ{٤٧}﴾ [المدثر: ٤٢–٤٧].

ومن هذا ندرك خطورة ما رواه بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر) (١٩١).

وإذا علمنا الآن أن من سد فرجة في الصف له قصر في الجنة، فما بالك بالذي يصلي فما له من الأجر يا ترى؟

أدعك تتفكر في ثواب ذلك!

---

(١٨٩)رواه الإمام مالك في الموطأ (٥٨)، وأحمد –الفتح الرباني– (١٤١/٢٤)، ومسلم (٢٤٩)، والنسائي (١٥٠)، وابن ماجه (٤٣٠٦)، وابن حبان (٧٢٤٠)، وابن خزيمة (٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١٤٣)، والبيهقي (٣٩٢)، وأبو يعلى (٦٥٠٢).

(١٩٠)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني (٢٣٢/٢)، وابن حبان وصححه (١٤٦٧)، والدارمي (٢٧٢١)، والهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجال أحمد ثقات (٢٩٣/١)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه أحمد بإسناد جيد (٣٨٦/١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٨)، ثم ضعفه في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٤٦٥).

(١٩١)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٣٢/٢)، ومسلم (٨٢)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والدارمي (١٢٣٣)، والحاكم (١١)، وابن حبان (١٤٥٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٣٠)، والبيهقي (٦٢٨٧).

العمل الحادي عشر: المحافظة على السنن الرواتب

عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة؛ بني له بيت في الجنة: أربعا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة) (١٩٢).

وهل الحديث يفيد أن كل اثنتي عشرة ركعة تطوعا ثوابها بيت في الجنة، أم أن من داوم على ذلك طوال حياته كان له قصر واحد؟ وهل يلزم أن تكون الركعات من السنن الرواتب؟

أقول فإذا علمنا أن مجرد سد فرجة في الصف يبنى لصاحبها بيت في الجنة، فلعل كل اثنتي عشرة ركعة ثوابها بيت في الجنة؛ وفضل الله واسع، خصوصا أن هناك رواية عن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُنيَ له بهنَّ بيت في الجنة) (١٩٣).

وقد فهم عطاء رحمه الله تعالى أن أي اثنتي عشرة ركعة تطوعا ثوابها بيت في الجنة؛ وأنه لا يشترط كونها من السنن الرواتب أو المواظبة عليها يوميا:

قال ابن جريج: قلت لعطاء: بلغني أنك تركع قبل الجمعة اثنتي عشرة ركعة، ما بلغك في ذلك؟ قال: أُخبرت أن أم حبيبة حدثت عنبسة بن أبي سفيان أن النبي ﷺ قال: (من ركع اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة سوى المكتوبة بنى الله عز وجل له بيتا في الجنة) (١٩٤).

وقال المناوي رحمه الله تعالى في شرحه لقول النبي ﷺ: (من ركع عشر ركعات فيما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة)، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: إذاً تكثر قصورنا؟ (١٩٥)، قال: وظاهر الحديث أن ذلك لا يشترط فيه المداومة؛ وأن بكل عشر

---

(١٩٢)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (١٨٩/٤)، ومسلم (١١٩٩)، والترمذي (٤١٥)، والنسائي (١٨٠١)، وابن ماجه (١١٤١)، وابن حبان (٢٤٥٢)، وابن خزيمة (١١٨٨)، والحاكم (١١٧٣)، والبيهقي (٤٢٦٣)، والطبراني في الكبير (٤٣٣).

(١٩٣)رواه الإمام مسلم واللفظ له (٧٢٨)، والنسائي في السنن الكبرى (١٤٧١)، وابن خزيمة (١١٨٨)، والحاكم (١١٧٤)، والبيهقي (٤٢٦٢)، والطبراني في الكبير (٤٣٣)، وأبو يعلى (٧١٢٤).

(١٩٤)رواه النسائي (١٧٩٧)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٦٩٦).

(١٩٥) رواه ابن المبارك عن عبد الكريم بن الحارث مرسلا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٦٠٣).

ركعات في ذلك الوقت قصر، وبه يصرح قول عمر إذا تكثر قصورنا اهـ [١٩٦].

بينما عبر الصنعاني رحمه الله تعالى في شرحه على حديث أم حبيبة: (من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة)، بقوله: كأن المراد في كل يوم وليلة، لا في يوم من الأيام، وليلة من الليالي اهـ [١٩٧].

وجاءت رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : (من ثابر على ثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتا في الجنة، أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر) [١٩٨].

ومعنى ثابر أي واظب ولازم، قال ابن الأثير: المثابرة: الحرص على الفعل والقول ومُلازَمَتهُما اهـ [١٩٩].

قال السندي: قوله (من ثابر) بالثاء الْمُثَلَّثَة، أي لازم وداوم، والحديث يفيد أن الأجر المذكور منوط بالمواظبة على هذه النوافل، لا بأن يصلي يوما دون يوم اهـ [٢٠٠].

فحري بك أخي المسلم، أن تواظب على اثنتي عشرة ركعة من غير الفريضة كل يوم لتنال هذا الثواب العظيم، إضافة إلى ذلك فإن الإكثار من السجود له فضائل عديدة منها: أنه بكل سجدة تسجدها لله عز وجل ترتفع بها عند الله درجة، وتفوز بمحبته عز وجل، وتستجاب دعوتك، وتنال شفاعة نبيك محمد ﷺ وتكمل بها فريضة الصلاة وغيرها من فضائل جمة.

ألا تعلم أن ابن تيمية رحمه الله تعالى ذكر أن من أصرَّ على ترك السنن الرواتب؛ دل ذلك على قلة دينه وردت شهادته في مذهب أحمد والشافعي وغيرهما [٢٠١].

فالمؤمل منك أن تكون مسارعا إلى الخيرات، مقتديا بأم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، حيث إنها لم تترك هذه السنن منذ سمعت فضلها من النبي ﷺ،

---

(١٩٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١٣٨/٦).

(١٩٧) سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني (١٠/٢).

(١٩٨) رواه الترمذي (٤١٤)، وابن ماجه (١١٤٠)، والنسائي (١٧٩٤)، والنسائي في السنن الكبرى (١٤٦٧)، وأبو يعلى (٤٥٢٥)، وابن أبي شيبة (٥٩٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٨٣).

(١٩٩) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٠٦/١).

(٢٠٠) شرح سنن ابن ماجه القزويني للسندي (٣٤٩/١).

(٢٠١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١٢٧/٢٣).

وكذلك فعل ثلاثة من التابعين رحمهم الله تعالى ممن رووا هذا الحديث عنها رضي الله عنها.

فعن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس، عن عنبسة بن أبي سفيان، عن أم حبيبة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة)، قالت أم حبيبة رضي الله عنها: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة، وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس [٢٠٢]، فماذا ستقول أنت بعد قراءتك لهذا الحديث؟

ولكي تنال هذا الثواب بأداء السنن الرواتب ينبغي عليك التبكير إلى الصلاة لكي لا تفوتك السنن القبلية لا سيما أن بعض أهل العلم يرى أن وقت هذه السنن ينتهي بأداء الفريضة، وقد سئل ابن عثيمين رحمه الله تعالى عن ذلك فأجاب قائلا: الراجح أن السُّنة القبلية وقتها ما بين دخول وقت الصلاة وفعل الصلاة، فراتبة الظهر القبلية يدخل وقتها من أذان الظهر أي من زوال الشمس وينتهي بفعل الصلاة أي بصلاة الظهر، والسُّنة البعدية يبتدئ وقتها بانتهاء الصلاة وينتهي بخروج الوقت، ولكن إذا فات وقت السُّنة القبلية من غير تفريط من الإنسان فإنه يقضيها بعد الصلاة، أما إذا أخر الراتبة القبلية عن وقتها بلا عذر فلا تنفعه ولو قضاها، لأن القول الصحيح أن كل عبادة مؤقتة بوقت إذا خرج وقتها بلا عذر لا تصح ولا تقبل اهـ [٢٠٣].

عود نفسك على الأخذ بالعزائم؛ بأن تأتي مبكرا للصلاة لئلا يفوتك الخير، وأن تقضي ما فاتك من صلاة تطوع قدر الإمكان، فهذا من أفضل الوسائل المعينة على تربية النفس وتزكيتها وتعويدها على عدم التفريط في الفضائل، قال أبو سليمان الدارني رحمه الله تعالى: إذا فاتك شيء من التطوع فاقض، فهو أحرى أن لا تعود إلى تركه اهـ [٢٠٤].

واعلم أن هذا الثواب يتحقق للعبد إذا كانت فرائضه كاملة، أما إذا كانت ناقصة، فإنها تكمل من نوافله، ويقتضي ذلك نقص هذه النوافل عن اثنتي عشرة ركعة، ومن

---

(٢٠٢) رواه الإمام مسلم (٧٢٨).

(٢٠٣) فتاوى أركان الإسلام لمحمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد السليمان (سؤال رقم ٢٨٤).

(٢٠٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٢٦١/٩).

المحتمل أن يخسر العبد بذلك قصرا في الجنة لعدم تحقيقه شرط الحديث.

فقد ذكر السبكي رحمه الله تعالى [٢٠٥]: بأن قوله ﷺ (بني له بهن بيت في الجنة) يعني: جعل الله له بسبب هذه الركعات بيتا في الجنة، ومحله إذا كانت فرائضه تامة، أما إذا كانت ناقصة فتكمل من تطوعه كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا جل وعز لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك) [٢٠٦].

أما الساعاتي رحمه الله تعالى فقد قال: يحتمل أن يبنى له بيت في الجنة إن فعلها بإخلاص مع تكميل نقص الفرض بها وفضل الله واسع اهـ [٢٠٧].

العمل الثاني عشر: المحافظة على أربع ركعات من الضحى

صلاة الضحى هي الصلاة التي تصلى بعد ارتفاع الشمس قيد رمح إلى قبل أذان الظهر قيد رمح أيضا، وكلما أُخر وقت أدائها حتى تَرْمَضُ الْفِصَالُ [٢٠٨] كان ذلك أفضل، وقد أوصى الرسول ﷺ بعض أصحابه بهذه الصلاة وعدم تركها؛ لما فيها من فضائل عديدة يغفل عنها عموم الناس أهمها: أن أربع ركعات منها يُبنى لصاحبها بها بيت في الجنة، وأنها صلاة الأوابين، وتسد يوميا عن زكاة المفاصل، وأنها سبب لقضاء الحوائج، وأدائها في المسجد يعدل ثواب عمرة، وضمان لصاحبها أن يزحزج عن النار لو مات في يومه.

كان ذلك هو موجز ثوابها، وإليك تفصيل ذلك من أحاديث النبي ﷺ:

إذا صليت أربع ركعات من الضحى، ومثلهن بعد أذان الظهر تحظى ببيت في جنات النعيم، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من صلى الضحى

---

(٢٠٥) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود للسبكي (١٣٤/٧) بتصرف.

(٢٠٦) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٢٤/٢)، وأبو داود واللفظ له (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وابن ماجه (١٤٢٥)، والدارمي (١٣٥٥)، والحاكم (٩٦٥)، والبيهقي (٣٨١٣)، وأبو يعلى (٣٩٧٦)، والطبراني في الكبير (١٢٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٢٠).

(٢٠٧) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد لعبد الرحمن البنا، الملقب بالساعاتي(١٩٠/٤).

(٢٠٨) أي حتى تصيب الصغار من أولاد الإبل الرمضاء فتحرق خفافها من شدة حرارة الرمل.

أربعا وقبل الأولى أربعا[٢٠٩]، بني له بيت في الجنة) [٢١٠].

واعلم أن صلاة الضحى لا ينحصر ثوابها على قصر في الجنة فحسب، وإنما يتعداه إلى أن من يلزمها ويحافظ عليها يكون من الأوابين التوابين، فعن زيد بن أرقم ﵁ أنه رأى قوما يصلون من الضحى، فقال: أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الأوابين حين تَرْمَضُ الْفِصَالُ) [٢١١].

كما أن ركعتي الضحى وحدها تغني عن أداء ثلاثمئة وستين صدقة مطلوبة منك كل يوم، فعن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: (يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى) [٢١٢].

وفي رواية عن أبي بريدة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (في الإنسان ثلاثمئة وستون مفصلا، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة، قالوا: ومن يطيق ذلك يا نبي الله؟ قال: النخاعة في المسجد تدفنها، والشيء تنحيه عن الطريق، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك) [٢١٣].

وصلاة الضحى وسيلة لقضاء حوائجك إذا صليتها أربع ركعات، فعن عقبة بن عامر الجهني ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم اكفني أول

---

(٢٠٩)أي قبل الظهر، وسميت الظهر الأولى لأنها أول صلاة فرضت ليلة المعراج، قاله المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (١٦٦/٦).

(٢١٠)رواه الطبراني في الأوسط (٤٧٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٤٠).

(٢١١)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٦/٥)، ومسلم (٧٤٨)، والدارمي (١٤٥٧)، وابن حبان (٢٥٣٩)، والبيهقي (٤٦٨٧).

(٢١٢)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٢/٥)، ومسلم واللفظ له (٧٢٠)، وأبو داود (١٢٨٥)، وابن خزيمة (١٢٢٥)، والنسائي في السن الكبرى (٩٠٢٨)، والبيهقي (٤٦٧٧).

(٢١٣)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٧٦/٩)، وأبو داود واللفظ له (٥٢٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٣٩).

النهار بأربع ركعات، أكفك بهن آخر يومك) [٢١٤]، وفي رواية عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال: (ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره) [٢١٥].

فإذا أردت أن تُقضى حوائجك، فتقرب إلى الله عز وجل بأربع ركعات تركعهما من الضحى، قال الطيبي في معنى الحديث: أي يا ابن آدم فَرِّغ بالك أول النهار واشتغل بعبادتي، حتى أفرغ بالك في آخره بقضاء حوائجك ودفع المضار عنك اهـ [٢١٦].

وبصلاة الضحى ركعتين تفوز بثواب عمرة كاملة؛ إذا أديتها في المسجد، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة؛ فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى - أي صلاة الضحى - لا ينصبه إلا إياه؛ فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة؛ لا لغو بينهما كتاب في عليين) [٢١٧]، وهذه سنة غائبة يجهلها كثير من الناس.

وبصلاة الضحى ركعتين فقط تمسي وقد زحزحت نفسك عن النار وحصلت على ضمان بعدم دخولها بإذن الله تعالى لو مت ليلتك، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمئة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظما عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمئة السلامى، فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار) [٢١٨].

فاحرص على هذه الصلاة ذات الأجور المتعددة، فكم نكون جالسين وقت الضحى

---

(٢١٤)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢١/٥)، وابن حبان (٢٥٣٣)، وأبو يعلى (١٧٥٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٤٦٦)، والبيهقي (٤٦٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٧١).

(٢١٥)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢١/٥)، والترمذي واللفظ له (٤٧٥)، وأبو داود (١٢٨٩)، والدارمي (١٤٥١)، والطبراني في الكبير (٧٧٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٩٥).

(٢١٦) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي (١٧٧/٣ ح ١٣١٣).

(٢١٧)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢١٢/٢)، وأبو داود واللفظ له (٥٥٨)، والبيهقي (٤٧٥٣)، والطبراني في الكبير (٧٧٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٨).

(٢١٨)رواه الإمام مسلم (١٠٠٧)، والبيهقي (٧٦١١)، وابن حبان (٣٣٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٧٣)، وأبو يعلى (٤٥٨٩).

خاصة في عطلة نهاية الأسبوع، وليس لدينا عمل يشغلنا، فنغفل عن هذا الأجر العظيم، وأحيانا قد نخجل من أن نقوم من عند أحد دقائق معدودة؛ لأداء هذه الركعات، مفوتين علينا هذه الأجور العظيمة، بينما نرى المدخن لا يخجل من أن يشعل سيجارته أمام أي ملأ من الناس، لأنه يشعر أنه بحاجة إلى هذه السيجارة وأنها – على حد زعمه – تنفعه وتعيد له نشاطه، أولسنا بحاجة إلى هذه السُنة لأنها ستنفعنا في آخرتنا؟

لقد أوصى النبي ﷺ بعض أصحابه رضي الله عنهم بهذه الصلاة، فعملوا بها حتى مماتهم، فها هو أبو هريرة رضي الله عنه يقول: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر [٢١٩].

وها هو أبو الدرداء يقول أيضا: أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث لن أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر [٢٢٠].

فهل توصي نفسك بهذه الصلاة؟

العمل الثالث عشر: ترك المراء

العمل الثالث عشر لامتلاك قصور في الجنة هو ترك المراء وإن كنت محقا، فعن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أنا زَعِيمٌ ببيت في رَبَضِ الجنة **لمن ترك الْمِرَاءَ وإن كان محقا**، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقَهُ) [٢٢١].

لقد حذر النبي ﷺ من المراء ورغّب في تركه، ورتب على ذلك الأجر العظيم في أحاديث عدة، منها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المُزاحة والمراءَ وإن كان صادقا)[٢٢٢].

---

(٢١٩)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٨٦/٤)، والبخاري واللفظ له (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١)، وأبو داود (١٤٣٢)، والنسائي (١٦٧٧)، والدارمي (١٤٥٤)، وابن خزيمة (٢١٢٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١٣٨٦)، والبيهقي (٨٢١٩)، وأبو يعلى (٦٢٢٦).

(٢٢٠)رواه الإمام مسلم (٧٢٢)، والنسائي (٢٤٠٤)، وابن خزيمة (١٠٨٦).

(٢٢١)رواه أبو داود واللفظ له (٤٨٠٠)، والبيهقي (٢٠٩٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٤٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢٢٢)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٦٨/١٩)، والطبراني في الأوسط (٥١٠٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٢٩٣٩).

والمراء هو الجدال، ذكر ذلك معظم شراح الحديث، ولكن الغزالي رحمه الله تعالى فرق بين المراء والجدال، ورأى أن المراء هو طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة، والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها اهـ (٢٢٣).

وقال أبو هلال العسكري في الفرق بين الجدال والمراء: قيل: هما بمعنى؛ غير أن المراء مذموم؛ لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره وليس كذلك الجدال (٢٢٤).

فالجدال أعم من المراء، وهو مبني على دفع الحجة بالحجة دون المساس بشخص المتكلم ويكون ممدوحا إذا كان بالتي هي أحسن؛ وبهدف معرفة الحق وإظهاره وتقريره والذب عنه ودحض الباطل وإسقاطه، ويكون مذموما إذا كان غير ذلك، ويتأكد النهي عن الجدال في الحج لقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أما المراء فهو مذموم، لأنه جدال لذات الجدال، ومبني على الطعن في كلام المقابل لغير غرض سوى تحقيره والتطاول عليه، لذلك عُد المراء في القرآن كفر؛ لأن مقصود فاعله الشك فيه أو إظهار تعارض في بعض آياته، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (المراء في القرآن كفر) (٢٢٥).

والجدال في الدين لإظهار حق محمود؛ كالنقاش في بعض المسائل الفقهية، وقد جادل الأنبياء أقوامهم لإقناعهم وردوا شبهاتهم، فقال تعالى عن حال نوح عليه السلام مع قومه: ﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، فلذلك ينبغي أن يكون الجدال ذا فائدة وينبني عليه عمل ويهدف إلى كشف الحق، أما الجدال الذي لا ينبني على ذلك، فإنه من الجدال المذموم.

وكره أهل العلم جدال أهل البدع الذين يتبعون المتشابه من القرآن، لما روته عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ

---

(٢٢٣) إحياء علوم الدين للغزالي (١١٣/٣).

(٢٢٤) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.

(٢٢٥) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣٩/١٨)، وأبو داود (٤٦٠٣) والحاكم (٢٨٨٢)، وابن حبان (١٤٦٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٩٣)، وأبو يعلى (٦٠١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٨٧).

آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) [٢٢٦].

كما كرهوا رحمهم الله تعالى استخدام الجدال كوسيلة لنشر السنة وإقناع الناس بها، فقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: الجدال في الدين ينشئ المراءَ، ويذهبُ بنور العلم من القلب ويقسي، ويورث الضِّغن اهـ [٢٢٧].

وقال: الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس رحمه الله تعالى: يا أبا عبد الله الرجل يكون عالما بالسُّنة أيجادل عنها؟ قال: لا ولكن يخبر بالسنة فإن قُبِلَت منه وإلا سكت اهـ [٢٢٨].

وقال العباس بن غالب الورَّاق رحمه الله تعالى: قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السُّنَّةَ غيري، فيتكلم متكلم أرد عليه؟ قال: لا تنصب نفسك لهذا، أخبر بالسنة ولا تخاصم [٢٢٩].

لقد دأب بعض الناس في مجالسهم على المراء والجدال فيما بينهم ولو في حال مزاحهم، فتراهم يتجادلون ويتمارون في كل صغيرة وكبيرة، لا لجلب مصلحة، ولا لدرء مفسدة، ولا لهدف الوصول إلى حق ما، وإنما رغبةً في معارضة الرأي الآخر وعناده أو تحقيره وإظهار المرتبة والانتصار عليه، أو لإضفاء جو من المرح على مجلسهم كما يزعمون، وما علموا بأن الجدال قد يفضي إلى المراء والتنازع والتقاطع وإيغار الصدور، ولهذا جاء هذا العرض الجزيل من النبي ﷺ بأن من ترك المراء وإن كان محقا ببيت في ربض الجنة.

وكثرة الجدال يسرق وقت المتجادلين من حيث لا يشعرون، ويشغل قلوبهم، ويفوت

---

(٢٢٦) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٦٢/١٨)، والبخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)، والترمذي (٢٩٩٤)، وأبو داود (٤٥٩٨)، وابن ماجه (٤٧)، والدارمي (١٤٥)، وابن حبان (٧٣).

(٢٢٧) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لمحمد موسى(٦٢٣/٢).

(٢٢٨) مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، تأليف أحمد البيروتي (صفحة ٢٧١).

(٢٢٩) الآداب الشرعية لابن مفلح (فصل في النظر إلى ما يخشى منه الوقوع في الضلال والشبهة) (٢٢١/١).

عليهم كثيرا من المصالح، والمسلم مطالب أن يحفظ وقته ويصرفه فيما ينفعه في دينه ودنياه، قال ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٢٣٠]، وقال معروف الكرخي رحمه الله تعالى: إذا أراد الله بعبد شرا أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل[٢٣١]، وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته [٢٣٢].

لقد تُوعِد بالنار كل من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويجادل به السفهاء، حيث روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم) [٢٣٣].

ومن صور الجدل المذموم الذي يوقع صاحبه في غضب الله عز وجل؛ الجدل لإبطال حق أو نصرة باطل؛ كالذين يدافعون عن فكرة قد لا تكون مشروعة، ويعلمون فسادها وخطرها على المجتمع، ولكنهم يصرون عليها ويحاولون البحث عن مبررات ومزايا لها؛ لأغراض في نفوسهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله، **ومن خاصم في باطل وهو يعلمه**؛ لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه؛ أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال) [٢٣٤]، أي من جادل أحدا وهو يعلم أن خصمه على الحق وهو على الباطل، واستمر في جداله، وأصر على رأيه؛ لم يزل في سخط الله

---

(٢٣٠) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٧١/١٩)، والترمذي عن أبي أمامة ﷺ (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، والحاكم (٣٦٧٤)، والطبراني في الكبير (٨٠٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤٠).

(٢٣١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٣٦١/٨)، ونزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لمحمد موسى (صفحة ٧١٤).

(٢٣٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٢٢٨/٥).

(٢٣٣) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٦٤/١)، وابن ماجه (٢٦٠)، والدارمي (٣٧٣)، وابن حبان (٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٨).

(٢٣٤) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٨٨/١٥)، وأبو داود واللفظ له (٣٥٩٧)، وابن حبان (٧٨)، والحاكم (٢٢٢٢)، والبيهقي (١١٢٢٣)، والطبراني في الكبير (١٣٠٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٩٦).

تعالى، لذلك اعتبر الإمام الذهبي هذا العمل أحد كبائر الذنوب ودَوَّنه في كتابه الكبائر.

وأسباب الجدال عديدة منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، ورفض الاعتراف بالخطأ، وقد حث الإسلام أتباعه على عدم الإصرار على الرأي إذا علم المرء خطأه، وهو ما يقع كثيرا بين الأزواج، فترى الزوج يصر على رأيه وهو يعلم تماما أن الصواب في خلافه، ولكنه يأبى التنازل لرأي امرأته متعاليا عليها، وكذلك يفعل بعض المدراء مع مرؤوسيهم، وبعض الآباء مع أبنائهم، وغاب عن هؤلاء جميعا أن الاعتراف بالحق فضيلة، ويكفي أنه يجنب صاحبه سخط الله عز وجل.

لقد هُدِّد المصرون على أخطائهم والرافضون عن التراجع عنها بالويل؛ حيث روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال :(ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويل لأقماع القول [٢٣٥]، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون) [٢٣٦].

لقد أمرنا المصطفى ﷺ بالتراجع عن رأينا، وأن لا نتمادى فيه إذا علمنا أن الصواب في خلافه، ولو كنا قد حلفنا على ذلك، حيث أمرنا ﷺ بالتكفير عن اليمين وإتيان الذي هو خير، جاء ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: أَعْتَمَ رجل عند النبي ﷺ – أي تأخر جلوسه عند النبي ﷺ حتى المساء – ثم رجع إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليأتها وليكفر عن يمينه) [٢٣٧].

فكلما تهيأت لك فرصة لجدال أو مراء، فدعها وإن كنت محقا، متذكرا القصر الذي

---

(٢٣٥) أقماع القول: قال ابن الأثير: الأقماع : جمع قمع كضلع وهو الإناء الذي يترك في رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والإدهان، شبه أسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ويحفظونه ويعملون به بالأقماع التي لا تعي شيئا مما يفرغ فيها، فكأنه يمر عليها مجازا كما يمر الشراب في الأقماع اجتياز اهـ (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير).

(٢٣٦) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٨٩/١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٩٧).

(٢٣٧) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٨٠/١٤)، ومسلم واللفظ له (١٦٥٠)، والترمذي (١٥٣٠)، وأبو داود (٣٢٧٤)، والنسائي (٣٧٨١)، وابن ماجه (٢١١١)، والدارمي (٢٣٤٥).

ستعوض به فتكثر قصورك بإذن الله تعالى.

العمل الرابع عشر: ترك الكذب ولو كان المرءُ مازحا

العمل الرابع عشر لامتلاك قصر في الجنة هو ترك الكذب ولو كنت مازحا، فعن أبي أُمَامَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أنا زَعِيمٌ ببيت في رَبَضِ الجنة لمن ترك الْمِرَاءَ وإن كان محقا، **وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا**، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقَهُ) (٢٣٨).

لقد أمرنا الله عز وجل أن نكون مع الصادقين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وحذر من الكذب فقال تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، أي لُعِن الكذابون.

ويُعرف الكذب بأنه الإخبار عن شيء بخلاف واقعه، فهو خُلق يمقته كل العقلاء ويعد من كبائر الذنوب وإحدى آفات اللسان التي استهان بها كثير من الناس، فالكذب آية المنافق، وسلاح الجبان، وحيلة إبليس الأولى على أبينا آدم عليه السلام؛ حين أقسم له كاذبا قائلا: ﴿ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، لهذا كان الكذب أبغض الخلق إلى النبي ﷺ، حيث روت عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبغض الخلق إليه الكذب (٢٣٩).

والكذب له صور عديدة يمكن إجمالها في ثلاثة أنواع:

أولا: الكذب على الدين

وهو أعظمه إثما وخطورة على المجتمعات، وله ثلاث صور:

(أ) بالكذب على الله تعالى بنسبة الشريك والولد إليه أو ادعاء النبوة أو القول على الله بغير علم أو تحليل وتحريم من غير أمر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

(ب) بالكذب على رسول الله ﷺ وذلك باختلاق أحاديث ونسبتها إليه ﷺ، أو برواية أحاديث نبوية مكذوبة والاستدلال بها مع العلم بكذبها ولو كان بحسن نية، فقد روى سمرة

---

(٢٣٨)سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢٢١).

(٢٣٩)رواه البيهقي في شعبه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٨).

بن جندب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) [٢٤٠].

ومن الكذب على النبي ﷺ الغلو في تعظيمه بما لم يقله عن نفسه ﷺ، والادعاء بأن هذا التعظيم من السنة أو مما يحبه ﷺ ويرضاه، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، قال: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ؟ فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (قال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾، فأكون أول من رفع رأسه، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل، **ومن قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)** [٢٤١].

(ج) بالكذب على العلماء وتلفيق الفتاوى عليهم ونسبتها إليهم.

<u>ثانيا: الكذب على الناس</u>

وهذا النوع من الكذب الأكثر انتشارا بين الناس، ولا شك بأن انتشار الكذب في

---

(٢٤٠)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩/٢٦٤)، والبخاري (١٢٩١)، ومسلم واللفظ له (٣)، والترمذي (٢٦٦٢)، وابن ماجه (٣٩)، والطبراني في الكبير (١٠٢١).

* قال محمد جمال الدين القاسمي: قال الحافظ سهل بن السري: قد وضع أحمد بن عبد الله الجوربياري ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن تميم الفريابي على رسول الله أكثر من عشرة آلاف حديث، وقال حماد بن زيد: وضعت الزنادقة على رسول الله أربعة آلاف حديث، وقال بعضهم: سمعت ابن مهدي يقول لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا ومن صام كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها، وقيل لأبي عصمة ابن أبي مريم المروزي: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحق فوضعت هذا الحديث حسبة، ومما يوجب الأسف أن يرى الإنسان تلك الموضوعات والمناكير والأباطيل قد انتشرت في الكتب انتشاراً زائداً ورواها الخلف عن السلف وشحنت بها كتب الوعظ والإرشاد ودواوين الخطباء حتى إنك لا تطالع ديواناً من الدواوين المتداولة بين خطبائنا إلا وترى فيه من فظائع الأكاذيب على نبينا عليه الصلاة والسلام ما يستوجب العجب وما ذاك إلا لذهاب علماء الحديث ودخولهم في خبر كان وعدم اعتناء أهل عصرنا به اهـ (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي (١/١٤٩).

(٢٤١)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٠/٨٣)، والبخاري (٣٤١٦)، ومسلم (٢٣٧٣)، والترمذي (٣٢٤٥)، وابن ماجه واللفظ له (٤٢٧٤)، وابن حبان (٦٢٣٨)، والحاكم (٤١٢٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٦٧)، وأبو يعلى (٥٢٧٨)، والطبراني في الكبير (١١١٢٢).

أوساط الناس له آثاره المدمرة على المجتمع، إذ يفضي إلى نزع ثقة الناس بعضهم ببعض في أقوالهم ونياتهم وتعاملاتهم، ومتى ما انتشر الكذب بين الناس ألفوه ولم يعدُّوه ذنبا ومن ثَم لم يستغفروا منه.

إن من حق المسلم على أخيه أن لا يكذب عليه، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه، التقوى هاهنا - وأشار إلى الصدر - بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم) [٢٤٢].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (... وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) [٢٤٣].

لقد كان الكذب أبغض الخلق إلى النبي ﷺ، لذلك حذر منه غاية التحذير ورتب على تركه كمال إيمان العبد، فروى معاوية بن حيدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ويل للذي يُحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذبُ، ويل له، ويل له) [٢٤٤]، وروى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يتركَ الكذب في المزاحة، والمِراء وإن كان صادقا) [٢٤٥]، وروى عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا يبلغ العبد صريح الإيمان حتى يدع المزاح والكذب ويدع المراء وإن كان محقا) [٢٤٦].

كما بين النبي ﷺ بأن من أراد أن يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ فعليه بترك الكذب، جاء ذلك عن أبي قُراد السلمي ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فدعا بطهور، فغمس يده

---

(٢٤٢)رواه الإمام مسلم (٢٥٦٤)، والترمذي واللفظ له (١٩٢٧).

(٢٤٣)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٩٢/١٩)، والبخاري (٦٠٩٤)، ومسلم واللفظ له (٢٦٠٧)، والترمذي (١٩٧١)، وأبو داود (٤٩٨٩)، وابن ماجه (٤٦)، وابن حبان (٢٧٤)، والبيهقي (٢٠٦٠٦)، وأبو يعلى (٥١٣٨)، والطبراني في الكبير (٨٩٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٦).

(٢٤٤)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٦٨/١٩)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي واللفظ له (٢٣١٥)، والدارمي (٢٧٠٢)، والحاكم (١٤٢)، والبيهقي (٢٠٦١٤)، والطبراني في الكبير (٩٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤٤).

(٢٤٥)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٦٨/١٩)، والطبراني في الأوسط (٥١٠٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٢٩٣٩).

(٢٤٦)رواه أبو يعلى، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٢٩٤٠).

فتوضأ فتتبعناه فحسوناه، فقال النبي ﷺ: (ما حملكم على ما فعلتم؟)، قلنا: حب الله ورسوله، قال: (فإن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله؛ فأدوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدَّثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم) (٢٤٧).

الكذب في محيط الأسرة:

لقد حرص النبي ﷺ على أن يُربىَ المسلم على الصدق منذ نعومة أظفاره، ولا يُربىَ على الكذب البتة، فقد حذر ﷺ أُمّا من أن تكذب على ولدها الصغير كي لا ينشأ على هذا الخلق الذميم، فعن عبد الله بن عامر ﷺ أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: (وما أردت أن تعطيه)؟ قالت: أعطيه تمرا، قال: فقال رسول الله ﷺ: (أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة) (٢٤٨).

وذكرت عائشة رضي الله عنها أنه: ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه، حتى يعلم أنه قد أحدث توبة (٢٤٩).

ومن الأمور التي تساهل فيها بعض الآباء مع أبنائهم خلفهم للمواعيد وعدم اكتراثهم بما وقعوا فيه من إثم، بحجة أن لهم حق على أولادهم، قال عبد الله بن مسعود ﷺ : لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يَعِدَ أحدكم ولده شيئا ثم لا ينجز له (٢٥٠).

كما أساء بعض الأزواج فَهْمَ حديث رسول الله ﷺ في جواز كذب الزوج على زوجته، فأسرفوا وبالغوا في استخدامه مما أوقع بعضهم في مشكلات مع زوجاتهم، فعن صفوان بن سليم أن رجلا قال لرسول الله ﷺ أكذب امرأتي يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: (لا خير في الكذب)، فقال الرجل: يا رسول الله أعدها وأقول لها، فقال رسول الله ﷺ:

---

(٢٤٧)رواه الطبراني في الأوسط (٦٥١٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٢٩٢٨).

(٢٤٨)رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني– (٢٦٨/١٩)، وأبو داود (٤٩٩١)، والبيهقي (٢٠٦٢٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٤٨).

(٢٤٩)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٦٣/١٩)، والترمذي (١٩٧٣)، والحاكم (٧٠٤٤)، وابن حبان (٥٧٣٦)، والبيهقي (٢٠٦١٠)، والبزار، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤١).

(٢٥٠)رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٧)، وابن أبي شيبة (٢٥٦٠١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٩٩).

(لا جناح عليك) [٢٥١].

قال الألباني رحمه الله تعالى: (لا جناح عليك) يعني في الكذب على الزوجة تطييباً لنفسها، عن عطاء بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل عليَّ جناح أن أكذب على أهلي؟ قال: (لا، فلا يحب الله الكذب)، قال: يا رسول الله أستصلحها وأستطيب نفسها، قال: (لا جناح عليك)، قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون فيما يخبر به كل منهما بما له فيه من المحبة والاغتباط وإن كان كذبا لما فيه من الإصلاح ودوام الألفة، قلت: وليس من الكذب المباح أن يعدها بشيء لا يريد أن يفي به لها أو يخبرها بأنه اشترى لها الحاجة الفلانية بسعر كذا – يعني أكثر من الواقع – ترضية لها، لأن ذلك قد ينكشف لها؛ فيكون سببا لكي تسيء ظنها بزوجها وذلك من الفساد لا الإصلاح اهـ [٢٥٢].

ثالثا: الكذب على النفس

قال الله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤].

فكلما تهيأت لك فرصة لتكذب فدعه ولو كنت مازحا، محتسبا القصر الذي ستعوض به لتركك هذا الخلق الذميم، فتكثر قصورك بإذن الله تعالى.

العمل الخامس عشر: الأخلاق الحسنة

العمل الخامس عشر لامتلاك قصر في الجنة هو الأخلاق الحسنة، فعن أبي أُمَامَةَ الباهلي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أنا زَعِيمٌ ببيت في رَبَضِ الجنة لمن ترك الْمِرَاءَ وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، **وببيت في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقَهُ**) [٢٥٣].

إن المرء لم يُعط بعد الإيمان شيئا خيرا من خلق حسن، ولقد كان النبي ﷺ يسأل ربه عز وجل أحسن الأخلاق، حيث روى جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة كبر ثم قال: (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق،

---

(٢٥١) رواه الإمام مالك (١٨٥٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤٩٨).

(٢٥٢) السلسلة الصحيحة للألباني بتصرف رقم (٤٩٨).

(٢٥٣) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢٢١).

لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق، لا يقي سيئها إلا أنت) (٢٥٤)، وكذلك يفعل كلما نَظَرَ في المِرآة، حيث روى ابن مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر في المرآة قال: (اللهم كما حسنت خَلْقِي فحسن خُلُقِي) (٢٥٥).

إن صاحب الخلق الحسن من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وأقربهم إليه مجلسا يوم القيامة، وإذا دخل الجنة كان في أعلى الدرجات، وإن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه، فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة؛ أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة؛ الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون)، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: (المتكبرون) (٢٥٦).

ينبغي أن لا يكون حسن خلقك قاصرا على الناس فقط وتنسى أقرب الناس إليك، وإنما أن يمتد أيضا إلى والديك وأفراد أسرتك، فبعض الناس تراه مرحا وسيع الصدر ودمث الأخلاق مع الناس ولكنه على خلاف ذلك مع أهله وأولاده.

فابن لنفسك بيتا من الأخلاق والمعاملة الحسنة في قلوب كل من تتعامل معهم، يُبْنَ لك بيت في أعلى درجات الجنة.

العمل السادس عشر: بناء المساجد

المساجد هي خير بقاع الأرض، وفيها يُؤدي المسلم أعظم أركان هذا الدين بعد الشهادتين، ولقد حث الإسلام على العناية بها، وأجزل المثوبة لمن بناها ولم يغال في تشييدها.

فعن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بنى مسجدا لله

---

(٢٥٤)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣/١٨١)، ومسلم (٧٧١)، والترمذي (٣٤٢١)، والنسائي واللفظ له (٨٩٧)، وأبو داود (٧٦٠)، والدارمي (١٢٣٨)، وابن خزيمة (٤٦٢)، والبيهقي (٢١٧٢)، وأبو يعلى (٢٨٥).

(٢٥٥)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٤/٢٨١)، وابن حبان (٩٥٩)، وأبو يعلى (٥٠٧٥)، والطيالسي واللفظ له (٣٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠٧).

(٢٥٦)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٣/٢٣)، والترمذي واللفظ له (٢٠١٨)، والطبراني في الكبير (١٠٤٢٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤٩).

بنى الله له في الجنة **مثله**) [٢٥٧].

قال النووي رحمه الله تعالى: يحتمل قوله ﷺ (مثله) أمرين: **أحدهما:** أن يكون معناه: بنى الله تعالى له مثله في مُسَمَّى البيت، وأما صفته في السَّعَة وغيرها فمعلوم فضلها: أنها مما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر، **الثاني:** أن معناه: أن فضله على بيوت الجنة كفضل المسجد على بيوت الدنيا اهـ [٢٥٨].

ومن كرم الله عز وجل أن كل من ساهم في بناء مسجد ولو بشيء يسير، أُعطيَ ثواب من بنى مسجدا كاملا، وهو بيت في الجنة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا في الجنة) [٢٥٩]، وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من بنى مسجدا لله كمفحص قطاة أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنة) [٢٦٠].

فقوله ﷺ (كمفحص قطاة) هي صفة مبالغة، أي ولو كانت مساحة هذه المسجد بحجم ما تحفره القطاة لبيضها وترقد عليه، وهذا الوصف يفيد أن المساهمة في بناء مسجد ولو بالمال القليل؛ ينتج عنها أن يبني الله عز وجل لفاعلها بيتا في الجنة.

قال الشوكاني رحمه الله تعالى في قول النبي ﷺ (كمفحص قطاة) : وحَمَلَ ذلك العلماء على المبالغة لأن المكان الذي تفحصه القطاة لتضع فيه بيضها وترقد عليه لا يكفي مقداره للصلاة، وقيل: هي على ظاهرها والمعنى أنه يزيد في مسجد قدرا يحتاج إليه تكون تلك الزيادة هذا القدر، أو يشترك جماعة في بناء مسجد فيقع حصة كل واحد منهم ذلك القدر اهـ [٢٦١].

فلذلك لا تحتقر من المعروف شيئا، وساهم في بناء المساجد ولو ببضعة ريالات، وادع الأغنياء إلى بناء المساجد في المناطق التي بحاجة إلى ذلك، فإن الدال على الخير

---

(٢٥٧)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٤٦/٣)، والبخاري (٤٥٠)، ومسلم واللفظ له (٥٣٣)، والترمذي (٣١٨)، وابن ماجه (٧٣٦)، والدارمي (١٣٩٢)، وابن حبان (١٦٠٩)، والبيهقي (٤٠٨٨).

(٢٥٨)صحيح مسلم بشرح للنووي (١٧/٥ ح ٥٣٣).

(٢٥٩)سبق تخريجه في الحاشية رقم (١).

(٢٦٠)رواه ابن ماجه واللفظ له (٧٣٨)، وابن خزيمة (١٢٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٢٨).

(٢٦١)نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني، باب فضل من بنى مسجدا (١٤٨/٢).

كفاعله.

واحرص كل الحرص على أن يكون بناؤك لبيوت الله لا سمعة فيه ولا رياء، لكي لا تخسر هذا القصر في الجنة، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (من بنى مسجدا لا يريد به رياء ولا سمعة، بنى الله له بيتا في الجنة) (٢٦٢).

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قال ابن الجوزي: من كتب اسمه على المسجد الذي يبنيه كان بعيدا من الإخلاص انتهى – أي انتهى كلام ابن الجوزي– ومن بناه بالأُجرة لا يحصل له هذا الوعد المخصوص لعدم الإخلاص وإن كان يؤجَرُ بالجملة اهـ (٢٦٣).

وإذا كنت حريصا على تكثير قصورك في الجنة من هذا العمل؛ فهناك وسائل عديدة مثل:

(١) المشاركة في بناء أكثر من مسجد بدلا من الالتزام ببناء مسجد واحد، لا سيما أن هذا الإجراء سيدعوك إلى حث الناس على المشاركة والتعاون لإكمال هذه المساجد، وهذا لا شك سيزيد من أجرك، ويضاعف من عدد قصورك في الجنة، لأن الدال على الخير كفاعله.

(٢) المشاركة في بناء مساجد في أفريقيا ودول شرق أوروبا الشرقية وغيرها من بلاد يقطن فيها مسلمون وتنخفض فيها تكلفة البناء، الأمر الذي يُمكِّنك من بناء عدة مساجد بتكلفة مسجد واحد في بلدك، علما بأن تلك الدول هي أكثر حاجة لمثل هذه المساجد من دول الخليج العربي، لأنها تفتقر إلى المحسنين أمثالك، ونسبة المسلمين في أغلبها تفوق سكان بلدك.

(٣) لا تبالغ في تزيين المسجد وزخرفته ورفع بنائه، كي لا تزيد من تكلفة بنائه، وهذا الإجراء يساعدك على بناء أكثر من مسجد بثمن واحد، كما تَسلَمُ من الوقوع في النهي الوارد في ذلك، حيث روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (ما أُمرت بتشييد المساجد)، قال ابن عباس: لَتُزَخْرِفُنَّهَا كما زخرفت اليهود والنصارى (٢٦٤)،

---

(٢٦٢)رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٠٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٢٧٤).

(٢٦٣)فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٦٤٩/١ ح ٤٥٠).

(٢٦٤)رواه أبو داود (٤٤٨)، وابن ماجه (٧٤٠)، وابن حبان (١٦١٥)، .والبيهقي (٤٠٩٦)، وأبو يعلى (٢٤٥٤)، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٥٠).

والتشييد هو رفع البناء وتطويله كما ذكره البغوي، وقد توعد رسول الله ﷺ من زخرف المساجد بالدمار، لما رواه أبو الدرداء ﷺ مرفوعا قال: (إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم)(٢٦٥).

أعرف ثريا بنى مسجدا كلفه عدة ملايين من الريالات ملأه بالزخارف والنقوش وجعله تحفة معمارية ومَعْلَما لمدينته، هو مسرور ببنائه، وأسأل الله تعالى أن لا يحرمه الأجر، ولكنه في الحقيقة حرم نفسه عشرات القصور في الجنة؛ لو بنى بثمنه عشرات المساجد.

(٤) إذا رأيت غنيا قد بنى مسجدا وأنت لا تستطيع أن تصنع صنيعه، فاغبطه على فعله وتمنى من قلبك أن لو كان لك مالا لصنعت مثلما صنع، فلو كنت صادقا في أمنيتك فإن الله عز وجل سيعطيك مثل أجره.

فعن أبي كبشة الأنماري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة فصبر عليها؛ إلا زاده الله عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، أو كلمة نحوها، وأحدثكم حديثا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول: **لو أنَّ لي مالا لعملت بعمل فلان؛ فهو بنيته؛ فأجرهما سواء**، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أنَّ لي مالا لعملت فيه بعمل فلان؛ فهو بنيته؛ فوزرهما سواء) (٢٦٦).

همة عالية لبناء مسجد:

على الرغم أن من عجز عن بناء مسجد وغبط غنيا على بنائه مسجدا، وتمنى مثل عمله، كان له مثل أجره، إلا أن من لطائف ما يُحكى؛ أن رجلا تركيا فقيرا كانت أمنيته بناء مسجد، ولم تقف نيته وهمَّته عند ذلك الحد، وإنما قرر حرمان نفسه من كل ما

---

(٢٦٥) رواه الحكيم الترمذي، وابن المبارك في الزهد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٥).

(٢٦٦) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩/١٩٩)، والترمذي واللفظ له (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٣٢٨)، والطبراني في الكبير (٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

يشتهي شراءه لتحقيق حلمه وأمنيته، فكان كلما اشتهى شيئا، وضع ثمنه في صندوق، قائلا في قرارة نفسه: كأني أكلته، وبعد سنين عديدة، استطاع أن يجمع ثمن بناء مسجد صغير فبناه وسماه: مسجد كأني أكلت (٢٦٧).

وقد يقول قائل: وهل يعقل أن من أنفق مالا كثيرا لبناء مسجد ثوابه سيوازي من سد فرجة في الصف أو غيرها من أعمال لا تكلف المرء شيئا أخبر النبي ﷺ أن ثوابها بيت في الجنة؟ أقول: إن هذه البيوت تتفاضل في حجمها ومادة بنائها وأشياء أخرى سبق ذكرها في مقدمة الكتاب، وإن أشرفها وأفضلها ما كان ثوابا لمن بنى مسجدا كما قال النووي رحمه الله تعالى، وفضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

العمل السابع عشر: إطعام الطعام

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(إن في الجنة غُرَفاً يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله عز وجل لمن **أطعم الطعام**، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام) (٢٦٨).

يعد الطعام من ضرورات الحياة للإنسان التي لا يمكن العيش بدونها، ولذلك أولى الإسلام هذا الأمر العناية الكاملة، ورغَّب في إطعام الطعام للناس عامة وللفقراء خاصة، واعتبر خيار الناس من فعل ذلك، حيث روى صهيب بن سنان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (خياركم من أطعم الطعام ورد السلام) (٢٦٩).

ولذلك ركز الإسلام بتشريعه على الحث على إطعام الطعام بالذات لأهداف عدة أهمها: القضاء على الجوع والمجاعات التي تصيب المجتمعات البشرية بين آونة وأخرى.

والذي يتأمل التشريع الرباني يجد أن الإسلام بتعاليمه السماوية الفريدة بإمكانه – لو مُكِّن له وقام به أتباعه خير قيام – أن يحل مشكلة الفقر والجوع والتقليل منها؛ ليس في أوساط المسلمين فحسب؛ بل في أوساط الكافرين أيضا، فكما نجح الإسلام في القضاء على مشكلة الرق حتى ندر وجوده في العالم، فإنه كذلك قَدَّم الحلول الفعالة لظاهرة الفقر والجوع في العالم.

---

(٢٦٧) وقفات تربوية لعبد الحميد البلالي (المجموعة الرابعة صفحة ٣٦٨) بتصرف.

(٢٦٨)سبق تخريجه في الحاشية رقم (٧٣) واللفظ لأحمد.

(٢٦٩)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٦٩/٢٢)، وابن أبي شيبة (٤٨٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤).

فالإسلام لا يحب الجوع ولا يدعو إليه، وإنما ذمه لأثره السيئ على سلوك الفرد، ولأن المرء إذا عُدِمَ الطعام فقد يسعى للحصول عليه بطرق تمس كرامته؛ مثل ذل السؤال أو السرقة، ولذلك تعوذ منه النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع) [٢٧٠].

ولهذا سن الإسلام أبوابا كثيرة لإطعام الطعام، فحرم احتكاره، وأمر بصدقة الفطر أن تخرج طعاما، وجعل بعض الكفارات طعاما يُخرج للمساكين، فأمر العاجز عن صيام رمضان أن يطعم مسكينا عن كل يوم لم يصمه، وأمر من ظاهر أهله أو واقعهم في نهار رمضان أن يطعم ستين مسكينا، وجعل كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين، وكفارة بعض الأخطاء في أداء مناسك الحج والعمرة إطعام فقراء الحرم.

كما رغب في تفطير الصائمين، وذبح الأضحية، والعقيقة وإعطاء جزء منها للفقراء، واعتبر شر الولائم تلك التي لا يدعى إليها الفقراء، وجعل من بر الحج إطعام الطعام حيث روى جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ فقال: (بر الحج إطعام الطعام وطيب الكلام) [٢٧١].

واعتبر الإسلام أن من خوارم كمال إيمان المرء؛ أن يشبع وجاره جائع إلى جنبه، حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به) [٢٧٢]، ولذلك أمر النبي ﷺ أبا ذر قائلا له: (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك) [٢٧٣].

ولقد كان النبي ﷺ يُدرِّب أصحابه رضي الله عنهم على إطعام الطعام ويحثهم

---

(٢٧٠)رواه أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي (٥٤٦٨)،وابن ماجه (٣٣٥٤)، وابن حبان (١٠٢٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٩٠٣)، والحاكم (١٩٥٧)، وأبو يعلى (٦٤١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٣).

(٢٧١)رواه الحاكم (١٧٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠١٧٠)، والطبراني في الأوسط (٦٦١٨)، والطيالسي (١٧١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١٩).

(٢٧٢)رواه الطبراني في الكبير (٧٥١)، والحاكم (٧٣٠٧)، والبيهقي (١٩٤٥٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والبزار، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥).

(٢٧٣)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (٥٨/١٩)، ومسلم (٢٦٢٥)، والترمذي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٣٣٦٢)، والدارمي (٢٠٧٩)، وابن حبان (٥١٣)، والنسائي (٦٦٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٤).

عليه، فسأل بعضهم ذات يوم فقال: (من أصبح منكم اليوم صائما)؟ قال أبو بكر: أنا، قال: (فمن تبع منكم اليوم جنازة)؟ قال أبو بكر: أنا، قال: (فمن أطعم منكم اليوم مسكينا) ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: (فمن عاد منكم اليوم مريضا)؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ (ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة) [٢٧٤].

قال النووي رحمه الله تعالى: قَالَ الْقَاضِي: معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مُجَازَاة على قبيح الأعمال، وإلا فَمُجَرَّد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى اهـ [٢٧٥].

إن من أحب الأعمال إلى الله تعالى أن تطرد الجوع عن أخيك المسلم، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل؛ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو **تطرد عنه جوعا** ....) [٢٧٦].

لذلك حرص السلف على إطعام الطعام واعتبروه من أفضل القربات، وبالغ بعضهم وفضَّله على عتق الرقاب.

إن إطعام الجائعين ضرورة شرعية ملحة سيُسأل عنها الإنسان ويحاسب عليها، ألا ترى أن الكفار عللوا أن من أسباب دخولهم النار أنهم لم يطعموا المسكين؟ فقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ{٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ{٤٣} وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ{٤٤} وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ{٤٥}﴾ [المدثر: ٤٢-٤٥]، وعلل بعضهم الآخر دخولهم النار؛ بأنهم لم يحضُّوا غيرهم على إطعام المساكين لا لأنهم لم يطعموهم فحسب، فأطعمهم الله تعالى صديد أهل النار، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ{٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ{٣١} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ{٣٢} إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ{٣٣} وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ{٣٤} فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ{٣٥} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ{٣٦} لا يأكله إلا الخاطئون {٣٧}﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٦].

ومن يقل أنه لا يوجد في هذا العصر من يموت جوعا، فهو قاصر الرأي، ولم يخرج من إطار بيئته ليعرف أن هناك أكثر من ثمانمئة مليون جائع في العالم يتضورون

---

(٢٧٤)رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ (١٠٢٨)، وابن حزيمة (٢١٣١)، والبيهقي (٧٦١٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٨١٠٧)، والطبراني في الكبير (١١٣٠٠).

(٢٧٥)صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٦٥ ح ١٠٢٨).

(٢٧٦)رواه الطبراني في الكبير (٣١٨٧)، وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

جوعا كثير منهم مسلمون، وقد ذكرت بعض الهيئات الخيرية الإسلامية أنهم وقفوا على عدة قرى في بعض الدول الأفريقية ضربها القحط وعُدم فيها الطعام؛ قد تحولت بأكملها إلى النصرانية؛ لأن الهيئات الصليبية تسابقت إليهم بالطعام والإنجيل.

فليكن حالنا الحض على إطعام الطعام لوجه الله تعالى لا نريد جزاء ولا شكورا، لعل وعسى أن يدخلنا ربنا الجنة بسلام، ويهب لنا تلك القصور الشاهقة التي يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها.

العمل الثامن عشر: إفشاء السلام

عن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، **وأفشى السلام**، وصلى بالليل والناس نيام) [٢٧٧].

السلام هو التحية التي ارتضاها الله تبارك وتعالى لآدم وذريته، لما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلِّم على أولئك النفر من الملائكة جلوس؛ فاستمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن) [٢٧٨].

والمقصود بإفشاء السلام هو إظهاره وتكثيره ونشره بين الناس، ولا يتأتى ذلك إلا بالعمل بسنن وآداب السلام التي حث عليها النبي ﷺ أتباعه والتي أهمها: أن نسلم على من نعرف ومن لا نعرف، وأن يسلم صغيرنا على كبيرنا، والماشي على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، ومن انتهى به مجلس أو قام لينصرف منه، وأن يسلم المرء على أهل بيته إذا دخل عليهم، وأن لا نجيب من بدأنا بالسؤال قبل السلام، لقول النبي ﷺ: (السلام قبل السؤال، فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه) [٢٧٩].

---

(٢٧٧)سبق تخريجه في الحاشية رقم (٧٣) واللفظ لابن حبان.

(٢٧٨)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٠/٢٨)، والبخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، وابن حبان (٦١٦٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٠٤٧)، والبخاري في الأدب المفدر (٨٧٨).

(٢٧٩)رواه ابن النجار واللفظ له عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٩).

ووصل حرص النبي ﷺ في إفشاء السلام بين أتباعه أنه أمر إذا حالت شجرة بين اثنين يمشيان أن يكررا السلام لبعضهما، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه أيضا) (٢٨٠)، واعتبر النبي ﷺ أبخل الناس من بخل بالسلام لأنه لا يكلف من أنفقه شيئا، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء) (٢٨١)، ولذلك شرع إفشاء السلام حتى على الأموات عند زيارتهم، فكيف بالأحياء!

كما أمر الرب تبارك وتعالى أن نرد السلام بمثله أو بأفضل منه وذكر أنه سيحاسبنا على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ [النساء: ٨٦]، ولذلك اعتبر النبي ﷺ أن من خيار الناس من رد السلام، حيث روى صهيب بن سنان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (خياركم من أطعم الطعام ورد السلام) (٢٨٢).

ولقد عرض الإسلام الأجور الكثيرة لمن امتثل تلك السنة وأفشاها، حيث أخبر النبي ﷺ بأن من سلم على أخيه سلاما كاملا فله ثلاثون حسنة، فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال: السلام عليكم، كتبت له عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله، كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كتبت له ثلاثون حسنة) (٢٨٣).

وأن أقرب الناس من رحمة الله تعالى من بدأ أخاه بالسلام، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام) (٢٨٤).

---

(٢٨٠)رواه أبو داود (٥٢٠٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠١٠)، وأبو يعلى (٦٣٥٠)، والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٨٩).

(٢٨١)رواه ابن حبان (٤٤٩٨)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٢)، وأبو يعلى واللفظ له (٦٦٤٩)، والطبراني في الأوسط (٣٣٩٢)، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥١٩).

(٢٨٢)سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢٦٩).

(٢٨٣)رواه الطبراني في الكبير (٥٧٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٢٧١١).

(٢٨٤)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣٣٢/١٧)، وأبو داود واللفظ له (٥١٩٧)، والترمذي (٢٦٩٤)، والطبراني في الكبير (٧٨١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١١).

ويزداد ثواب السلام إلى مغفرة الذنوب إذا اقترن بالمصافحة، حيث روى البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا) [٢٨٥]، وروى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ لقي حذيفة فأراد أن يصافحه، فتنحى حذيفة، فقال: إني كنت جنبا، فقال: (إن المسلم إذا صافح أخاه؛ تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر) [٢٨٦].

ومن بركات إفشاء السلام أن من دخل بيته فسلم على أهله كان ضامنا على الله بدخول الجنة لو مات، أو بكفايته إن عاش، وهذه إحدى علامات حسن الخاتمة التي يجهلها كثير من الناس ولا يفطنوا لها، فعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة كلهم ضامن على الله؛ إن عاش: رُزق وكُفي، وإن مات: أدخله الله الجنة: من دخل بيته فسلَّم؛ فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد؛ فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله؛ فهو ضامن على الله) [٢٨٧]، وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث قائلا: دخول الجنة للمُسلِّم على أهله عند دخوله عليهم إن مات، وكفايته ورزقه إن عاش.

إن إفشاء السلام من أقوى الوسائل المؤدية إلى التآلف والمحبة بين أفراد المجتمع ولذلك حسدنا اليهود عليه، حيث روت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين) [٢٨٨].

ومن أفشى السلام بين الناس كان جزاؤه دخول الجنة بسلام، مما يعني سلامته من كرب الصراط أثناء مروره عليه[٢٨٩] وسكنه تلك القصور العجيبة في الجنة التي يُرى

---

(٢٨٥)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣٤٩/١٧)، وأبو داود واللفظ له (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧)، وابن ماجه (٣٧٠٣)، والبيهقي (١٣٣٤٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٢٧١٨).

(٢٨٦)رواه البزار، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٢٧٢١).

(٢٨٧)رواه أبو داود (٢٤٩٤)، وابن حبان واللفظ له (٤٩٩)، والحاكم (٢٤٠٠)، والبيهقي في الكبرى (١٨٣١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٩٤)، والطبراني في الكبير (٧٤٩١)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤٩٩).

(٢٨٨)رواه ابن ماجه (٨٥٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١٣).

(٢٨٩)للاستزاده أنظر كتابي: كيف تنجو من كرب الصراط؟ (إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي).

ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، وهي الغاية المنشودة.

العمل التاسع عشر: متابعة الصيام

فعن علي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها)، فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: (هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، **وأدام الصيام**، وصلى لله بالليل والناس نيام)، وفي رواية لابن حبان عن أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، **وتابع الصيام**، وصلى بالليل والناس نيام) [٢٩٠].

قال القاري رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: (وتابع الصيام) أي أكثر منه بعد الفريضة، بحيث تابع بعضها بعضاً ولا يقطعها رأساً؛ قاله ابن الملك، وقيل: أقلَّه أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام اهـ [٢٩١] .

فاغتنم صحتك قبل مرضك، وشبابك قبل هرمك، وبادر إلى الإكثار من صيام النفل كالإثنين والخميس وأيام البيض وشهر محرم وشهر شعبان وعشر ذي الحجة، فمن داوم على ذلك نال تلك القصور الشاهقة التي يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فهي موجودة الآن وتنتظر من يشتريها بهذه الأعمال الفاضلة، فهل نجاهد أنفسنا للفوز بها؟

العمل العشرون: قيام الليل

روى علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال النبي ﷺ (إن في الجنة غرفا ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها)، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: (لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، **وصلى لله بالليل والناس نيام**) [٢٩٢].

لا يخفى على أحد ثواب قيام الليل ومكانته عند الله تعالى، حيث تواترت النصوص من الكتاب والسنة بالحث عليه، فهو سنة مؤكدة بعد أن كان فرضا لعام كامل، ذكرت ذلك عائشة رضي الله عنها حين سألها سعد بن هشام رحمه الله تعالى قائلا: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ يا أيها المزمل؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله عز وجل

(٢٩٠)سبق تخريجه في الحاشية رقم (٧٣) واللفظ للترمذي.

(٢٩١)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري (٣/٣٠٩).

(٢٩٢)سبق تخريجه في الحاشية رقم (٧٣) واللفظ للترمذي في رواية له أخرى (١٩٨٤).

افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة [٢٩٣].

فقيام الليل أفضل أنواع الصلوات بعد الفريضة للحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) [٢٩٤].

قال النووي رحمه الله تعالى: فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار اهـ [٢٩٥].

ومن مزاياه أنه لا يكفر الذنوب فحسب، وإنما ينهى صاحبه عن الوقوع في الآثام لما رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، **ومنهاة للإثم)** [٢٩٦].

وهو شرف المؤمن للحديث الذي رواه سهل بن سعد رضي الله عنهما قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: (يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، **واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل**، وعزه استغناؤه عن الناس) [٢٩٧].

وهو يوصل صاحبه للقرب من الله تعالى للحديث الذي رواه عمرو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله من أسلم معك؟ قال: (حُرٌّ وَعَبْدٌ)، قلت: هل

---

(٢٩٣) رواه الإمام أحمد –المسند– (٢٣٧٤٨)، ومسلم واللفظ له (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢)، والنسائي (١٦٠١)، والدارمي (١٤٧٥)، والحاكم (٣٨٦٢).

(٢٩٤) رواه الإمام أحمد –المسند– (١٦١٤)، ومسلم واللفظ له (١١٦٣)، والترمذي (٤٣٨)، والنسائي (١٦١٤)، وابن حبان (٣٦٣٦)، وابن خزيمة (١١٣٤)، والحاكم (١١٥٥)، والبيهقي (٤٤٣٨)، والطبراني في الكبير (١٦٩٥)، وأبو يعلى (٦٣٩٥).

(٢٩٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٣٠٤/٨ ح ١١٦٣).

(٢٩٦)رواه الترمذي (٣٥٤٩)، وابن خزيمة (١١٣٥)، والحاكم (١١٥٦)، والبيهقي في الكبرى (٤٤٢٣)، والطبراني في الكبير (٦١٥٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٦٢٤).

(٢٩٧)رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم (٧٩٢١)، والطيالسي (٧٤٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٦٢٧).

من ساعة أقرب إلى الله عز وجل من أخرى؟ قال: (نعم جَوْفُ الليل الْآخِرُ، فَصَلِّ ما بدا لك حتى تُصَلِّيَ الصُّبْحَ....) [(٢٩٨)].

وعلى الرغم من كل الفضائل السابقة إلا أن كثيرا من الناس زاهدون في هذه الصلاة ولا يفكرون أن يكونوا من أهلها، ولعل أكبر أسباب ذلك هو السهر والسمر بعد العشاء، فغالب الناس لا يرغب في مقاومة هواه ومجتمعه لينام مبكرا ويترك مجالس الناس التي تزداد حيوية ونشاطا بعد العشاء، إنه لمرتقى صعب المنال في هذا العصر الذي تحول ليل الكثيرين فيه إلى نهار وسهر، ولم يجعلوه سباتا كما أراده الله لهم، وقد نهى النبي ﷺ عن السمر بعد العشاء إلا لمسافر ومصل وعروس أو ما كان فيه مصلحة المسلمين، فكيف بمن كان سهره على قنوات فضائية لا ترضي الله تعالى؟

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (لا سمر إلا لثلاثة: مصل أو مسافر أو عروس) [(٢٩٩)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما [(٣٠٠)].

قال الترمذي رحمه الله تعالى: وقد اختلف أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم في السمر بعد صلاة العشاء الآخرة، فَكَرِهَ قومٌ منهم السمر بعد صلاة العشاء، ورخص بعضهم إذا كان في معنى العلم وما لا بُدّ منه من الحوائج، وأكثر الحديث على الرخصة، وقد روي عن النبي ﷺ قال: لا سمر إلا لمصل أو مسافر اهـ [(٣٠١)].

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: فالسمر في العلم يُلحَقُ بالسمر في الصلاة نافلة، وقد سَمَرَ عُمر مع أبي موسى في مُذاكرة الفقه، فقال أبو موسى: الصلاة، فقال عمر: إنا

---

(٢٩٨) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣٣٦/٢٢)، والترمذي (٣٥٧٩)، والنسائي واللفظ له (٥٨٤)، وابن ماجه (١٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٤٧).

(٢٩٩) رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه –الفتح الرباني– (٢٧١/٢)، والترمذي (١٦٩)، وضياء الدين المقدسي واللفظ له، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٣٥).

(٣٠٠) رواه الترمذي (١٦٩)، وابن حبان (٢٠٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٤٣).

(٣٠١) سنن الترمذي (١٦٩).

في صلاة اهـ [٣٠٢].

والحديث يؤكد أن نيل شرف قيام الليل لامتلاك تلك القصور الخاصة لا يكون في أول الليل؛ وإنما في وسطه أو آخره حين يكون عامة الناس نياما، وهذا شرط عزيز لا يناله إلا أصحاب الهمم العالية والعزائم القوية، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَاء ٱلَّيْلِ سَٰجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ [الزمر: ٩].

العمل الواحد والعشرون: الجهاد في سبيل الله

إن الجهاد في سبيل الله طريق آخر للحصول على قصر مشيد؛ بل قصور عديدة، إذ إن المسلم المجاهد سيمنح قصورا عدة في مستويات ودرجات مختلفة من الجنة، وكيف لا يكون ذلك؛ والجهاد ذروة سنام الإسلام؟

فعن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنا زعيم، والزعيم الحميل، لمن آمن بي وأسلم **وهاجر** ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي **وجاهد** في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة، من يفعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت) [٣٠٣]، والزعيم هو الضامن والكفيل.

ذكر الخطابيُّ رحمه الله تعالى أن معنى الْبَيْت هَاهُنَا الْقَصْر، يُقَال: هَذَا بَيْت فُلَان أَيْ قَصْره [٣٠٤]، ومصداق ذلك قول الباري جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ{١٠} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{١١} يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{١٢} وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ{١٣}﴾ [الصف: ١٠-١٣].

لقد بشر النبي ﷺ كل مسلم بقصرين اثنين، أحدهما في ربض الجنة والآخر في وسط الجنة؛ إذا هاجر إلى المدينة المنورة، إلا أن هذه الهجرة قد انتهت فرصتها بعد فتح

(٣٠٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٢٥٨/١ ح ١١٧).

(٣٠٣)رواه النسائي (٣١٣٣)، وابن حبان (٤٦١٩)، والحاكم (٢٣٥٥)، والطبراني في الكبير (٨٠١)، والبيهقي (١١١٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٥).

(٣٠٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد آبادي (١٥٦/١٣ ح ٤٨٠٠).

مكة؛ استنادا لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم الفتح: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا) [٣٠٥].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو انتهى، وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم لِيَسْلَم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه وفيهم نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾الآية [النساء: ٩٧]، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وَقَدَرَ على الخروج منها.... وقال ابن العربي: الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضا في عهد النبي ﷺ، واستمرت بعده لمن خاف على نفسه، والتي انقطعت أصلا هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان اهـ [٣٠٦].

ولذلك تكون الهجرة إلى الله ورسوله ﷺ بإحدى ثلاث:

(١) الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام لمن خشي على دينه.

(٢) الجهاد والنية.

(٣) الاستقامة على الدين زمن الفتن، لما رواه معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال: (العبادةُ في الْهَرْجِ كهجرة إليّ) [٣٠٧]، علما بأن أفضل أنواع الهجرة – بعد الهجرة في أول الإسلام – هو هجرة ما حرم الله تعالى لما رواه عبد الله بن حبشي الخثعمي ﷺ أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: (إيمان لا شك فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحجة مبرورة)، قيل: فأي الصلاة أفضل؟ قال:

---

(٣٠٥)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٠٨/١٤)، والبخاري واللفظ له (٢٨٢٥)، ومسلم (١٨٦٤)، والترمذي (١٥٩٠)، والنسائي (٤١٦٩)، وأبو داود (٢٤٨٠)، والدارمي (٢٥١٢)، وابن حبان (٤٥٩٢)، وأبو يعلى (٤٩٥٢)، والطبراني في الكبير (١٠٩٤٤).

(٣٠٦)فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٤٦/٦ ح ٢٨٢٥).

(٣٠٧)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٤٧/٢٤)، ومسلم واللفظ له (٢٩٤٨)، والترمذي (٢٢٠١)، وابن ماجه (٣٩٨٥)، وابن حبان (٥٩٥٧)، والطبراني في الكبير(٤٩٢).

(طول القنوت)، قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: (جَهْدُ الْمُقِلِّ)، قيل: **فأي الهجرة أفضل؟ قال: (من هجر ما حرم الله عز وجل)**، قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: (من جاهد المشركين بماله ونفسه)، قيل: فأي القتل أشرف؟ قال: (من أُهَرِيقَ دمه وَعُقِرَ جَوَادُهُ) [٣٠٨]، ولما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) [٣٠٩].

كما بشر النبي ﷺ في حديث فضالة بن عبيد السابق كل مسلم بثلاثة قصور؛ الأول في ربض الجنة، والثاني في وسط الجنة، والثالث في أعلى الجنة؛ إذا جاهد أعداء الله.

وبلغ من ترغيب رسول الله ﷺ لأمته بالجهاد أنه حث كل من يعود مريضا أن يدعو لمريضه بالشفاء ليجاهد أعداء الإسلام، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إذا عاد أحدكم مريضا فليقل: اللهم اشف عبدك، ينكأ لك عدوا أو يمشي لك إلى صلاة) [٣١٠].

وفي الحديث عن نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون – أي يتقلبون – في الغُرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه)، وفي رواية الإمام أحمد أن رجلا سأل النبي ﷺ أي الشهداء أفضل؟ قال: (الذين إن يُلْقَوْا في الصف يَلْفِتُونَ وجوههم حتى يُقْتَلُوا، أولئك ينطلقون في الْغُرَفِ الْعُلَى من الجنة ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه)

(٣٠٨)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٤/١٤)، والنسائي واللفظ له (٢٥٢٦)، وأبو داود (١٤٤٩)، وابن خزيمة (٢٤٤٤)، والحاكم (٤١٤/١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣١٨).

(٣٠٩)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١١٠/١)، والبخاري واللفظ له (١٠)، والنسائي (٤٩٩٦)، وأبو داود (٢٤٨١)، وابن ماجه (٣٩٣٤)، وابن حبان (٢٣٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٤٤).

(٣١٠)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٦٢/١٩)، وأبو داود (٣١٠٧)، وابن حبان (٢٩٧٤) والحاكم (١٢٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٨١).

.[311]

الأعمال التي ثوابها يعدل الجهاد في سبيل الله

ويحتمل أن ينال مثل هذه القصور المعدة للمجاهدين أيضا كل من عمل عملا ثوابه يعدل ثواب الجهاد، وفضل الله لا يحيطه شيء، فهناك ما يزيد على أربعة عشر عملا من الأعمال الصالحة التي ثوابها يعدل الجهاد في سبيل الله، فلنحرص عليها قدر المستطاع ولا نفرط فيها. وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى أن: درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة؛ لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أُعد للمجاهدين أهـ [312].

وأهم الأعمال التي صح الحديث فيها أن ثوابها يوازي ثواب الجهاد في سبيل الله عز وجل ما يلي:

[1] السعي على خدمة الأرملة والمسكين

لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار) [313].

[2] العمل الصالح في عشر ذي الحجة

لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر)، فقالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال: (ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء) [314].

[3] عدم تأخير الصلاة عن وقتها أو أول وقتها

---

(311)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (14/30)، والطبراني في الأوسط (3169)، وأبو يعلى (6855)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1107).

(312)فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (6/16 ح 2790)

(313)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (19/55)، والبخاري (6006)، ومسلم (2982)، والترمذي (1969)، والنسائي (2576)، وابن ماجه (2140)، وابن حبان (4245)، والبيهقي (12444)، والطبراني في الأوسط (1215).

(314)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (14/23)، والبخاري (2843)، ومسلم (1895)، وأبو داود (2509)، والترمذي (1628)، والدارمي (1773)، وابن حبان (324)، وابن خزيمة (2865)، والبيهقي (8175)، والطبراني في الكبير (10455)، وأبو يعلى (2090).

لما رواه عبد الله ابن مسعود ﷺ: قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: (الصلاة على وقتها)، قلت: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين)، قلت: ثم أي؟ قال: (ثم الجهاد في سبيل الله) (٣١٥)، فتأمل كيف قدم النبي ﷺ الصلاة على الجهاد.

[٤] انتظار الصلاة بعد الصلاة

لما رواه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) (٣١٦).

إن أيسر الأوقات لانتظار الصلاة بعد الصلاة دون مشقة هو ما بين صلاة المغرب والعشاء، وأولى الناس من يبادر إلى هذا الفضل هم كبار السن الذين لا يشغلهم في الغالب كثير عمل، فكثير منهم تراه جالسا بعد صلاة المغرب عند مقدمة بيته أو في داخله ليس لديه أي نشاط وإنما يشرب القهوة والشاي انتظارا لصلاة العشاء، ولو أنه جلس في المسجد يذكر الله تعالى منتظرا الصلاة، ولو أن يأتي بالقهوة والشاي معه فيشربها هناك، لكان أعظم لثوابه.

[٥] بر الوالدين

لما رواه أبو هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: (أحيٌّ والداك)؟ قال: نعم. قال: (ففيهما فجاهد) (٣١٧).

[٦] العمل على الصدقة

لما رواه رافع بن خديج ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (العامل على الصدقة بالحق،

---

(٣١٥)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢١٥/٢)، والبخاري (٥٢٧) و(٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥)، والترمذي (١٨٩٨)، والنسائي (٦١٠)، والدارمي (١٢٢٥)، وابن حبان (١٤٧٤).

(٣١٦)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣٠٧/١)، ومسلم (٢٥١)، والترمذي (٥١)، والنسائي (١٤٣)، وابن ماجه (٤٢٧)، والدارمي (٦٩٨)، وابن حبان (١٠٣٩)، وابن خزيمة (٥)، والبيهقي (٤٧٤٩)، والحاكم (٦٨٩)، والطبراني في الكبير (٥٩٤).

(٣١٧)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣٦/١٩)، والبخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩)، والترمذي (١٦٧١)، والنسائي (٣١٠٣)، وابن حبان (٣١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٠)، والبيهقي (١٧٦٠٥).

كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته) [٣١٨].

[٧] التكسب لإعفاف النفس ولإعالة العيال ولبر الوالدين

لما رواه كعب بن عجرة ﷺ قال: مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحابه من جلده ونشاطه ما أعجبهم فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) [٣١٩].

[٨] طلب العلم

لما رواه أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع) [٣٢٠].

[٩] الحج والعمرة

لما روته أم معقل رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (إن الحج والعمرة لمن سبيل الله وإن عمرة في رمضان تعدل حجة) [٣٢١].

وروت الشفاء رضي الله عنها أنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أريد الجهاد في سبيل الله، فقال: (ألا أدلك على جهاد لا شوكة فيه؟ حج البيت) [٣٢٢].

وروى الحسين بن علي رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني جبان وإني ضعيف. فقال: (هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج) [٣٢٣].

[١٠] التمسك بالسنة زمن الفتن

---

(٣١٨)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٥٨/٩)، وأبو داود (٢٩٣٦)، والترمذي (٦٤٥)، والحاكم (١٤٧٤)، وابن خزيمة (٢٣٣٤)، والبيهقي (١٢٩٥٥)، والطبراني في الكبير (٤٢٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١١٧).

(٣١٩)رواه الطبراني في الكبير (٢٨٢)، والبيهقي (١٧٦٠٢)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٢٦٦٩)، ووافقه الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٨).

(٣٢٠)رواه الترمذي (٢٦٤٧)، والطبراني في الأوسط (٣٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٨٨).

(٣٢١)رواه ابن خزيمة (٣٠٧٥)، والحاكم (١٧٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٩٩).

(٣٢٢)رواه الطبراني في الكبير (٧٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦١١).

(٣٢٣)رواه الطبراني في الكبير (٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٤٤).

لما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا) (٣٢٤).

[١١] قول الحق عند سلطان جائر

لما رواه جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله) (٣٢٥).

[١٢] التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة

لما رواه أبو هريرة ﷺ قال جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال؛ يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، قال: (ألا أحدثكم إن أخذتم أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إلا من عمل مثله؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين)، فاختلفنا بيننا فقال بعضنا: نسبح ثلاثا وثلاثين ونحمد ثلاثا وثلاثين ونكبر أربعا وثلاثين، فرجعت إليه فقال: (تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين) (٣٢٦).

[١٣] حمد الله تعالى مئة مرة

لما رواه موسى بن خلف: قال: حدثنا عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قال: قالت: مر بي ذات يوم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني قد كبرت وضعفت، أو كما قالت، فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال: (سبحي الله مئة تسبيحة، فإنها تعدل لك مئة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، **واحمدي الله مئة تحميدة، تعدل لك مئة فرس مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ تحملين عليها في سبيل الله،** وكبري الله مئة تكبيرة، فإنها تعدل لك مئة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي الله مئة تهليلة)؛ قال ابن خلف: أحسبه قال: (تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل مما يرفع لكِ،

---

(٣٢٤)رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٣٢٥)رواه الحاكم (٤٨٨٤)، والطبراني في الأوسط (٤٠٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٧٥).

(٣٢٦)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٥٨/٤)، والبخاري واللفظ له (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥)، وأبو داود (١٥٠٤)، وابن ماجه (٩٢٧)، والدارمي (١٣٥٣)، وابن خزيمة (٧٤٩)، والبيهقي (٩٩٧٤).

إلا أن يأتي بمثل ما أتيتِ به) [٣٢٧].

[١٤] سؤال الله عز وجل الشهادة في سبيل الله

لما رواه سهل بن حنيف ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء و إن مات على فراشه) [٣٢٨].

وعندما عاد مكحول الشامي رحمه الله تعالى حكيم بن حزام رحمه الله تعالى في مرضه قال له: أتراك مرابطا العام؟ قال: كيف تسألني وأنا على هذا الحال؟ قال: وما عليك أن تنوي ذلك؟ فإن شفاك الله مضيت لوجهتك، وإن حال بينك وبينه أجل كتب لك نيتك اهـ [٣٢٩].

المصائب التي يُمنح أصحابها أجر شهيد

لقد امتن الله تعالى على عباده المؤمنين أن جعل المصائب والأسقام التي تصيبهم كفارة لذنوبهم ورفعة لدرجاتهم إذا صبروا عليها، وجعل بعضها يمنح صاحبها ثواب الشهداء، ولا يعني هذا أن يتمناها المؤمن وإنما يسأل الله العافية، وسبق ذكر ثواب الصابرين في العمل الثاني، وأنهم سيتبوءون في الجنة الغرف، وأهم المصائب التي صح الخبر عنها بأنها تمنح أصحابها أجر الشهيد ما يلي:

١-الموت بالطاعون

لما رواه جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الفارُّ من الطاعون كالفارِّ من الزحف، ومن صبر فيه كان له أجر شهيد) [٣٣٠].

٢-الموت دفاعا عن المال

لما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(٣٢٧)رواه الإمام أحمد-الفتح الرباني- (٢١٧/١٤)، وابن ماجه (٣٨١٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٨٠)، والحاكم (١٨٩٣)، والطبراني في الكبير (١٠٠٨)، وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٥٣).

(٣٢٨)رواه الإمام مسلم (١٩٠٩)، وأبو داود (١٥٢٠)، والترمذي (١٦٥٣)، والنسائي (٣١٦٢)، والحاكم (٢٤١٢)، وابن حبان (٣١٩٢)، والبيهقي (١٨٣٣٩)، والطبراني في الكبير (٥٥٥٠).

(٣٢٩)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (١٧٨/٥).

(٣٣٠)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني-(٢٠٧/١٧)، وابن حميد (١١١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٧٧).

يقول: (من قتل دون ماله فهو شهيد) (٣٣١)، وفي رواية قال: (من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد) (٣٣٢).

٣-الموت دفاعا عن النفس والدين والأهل

لما رواه سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) (٣٣٣).

٤-الموت من ذات الجنب

لما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الميت من ذات الجنب شهيد) (٣٣٤). وذات الجنب: دُمَّل أو قرحة تعرض في جوف الإنسان، تنفجر إلى داخل فيموت صاحبها، وقد تنفجر إلى خارج (٣٣٥).

٥-المائد في البحر والموت غرقا

لما روته أم حرام رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد، والغرق له أجر شهيدين) (٣٣٦)، والمائد هو الذي يدور رأسه

---

(٣٣١)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني- (٣٤/١٤)، والبخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١)، والترمذي (١٤١٨)، وأبو داود (٤٧٧١)، والنسائي (٤١٠١)، وابن ماجه (٢٥٨١)، وابن حبان (٤٧٩٠)، والحاكم (٦٦٩٧)، والبيهقي (١٦٥٥٣)، والطبراني في الكبير (٣٥٢).

(٣٣٢)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني-(٣٥/١٤)، والترمذي (١٤٢٠)، وأبو داود (٤٧٧١)، والنسائي (٤٠٨٨)، والبيهقي (١٦٥٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠١١).

(٣٣٣)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني-(٣٤/١٤)، والترمذي (١٤٢١)، وأبو داود (٤٧٧٢)، والنسائي (٤١٠١)، وابن ماجه (٢٥٨٠)، وصححه الأرناؤط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (٧٤٤/٢)، والألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٣٣٤)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني-(٣٦/١٤)، والطبراني في الكبير (٨٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٨).

(٣٣٥)جامع الأصول لابن الأثير (٧٤٢/٢).

(٣٣٦)رواه أبو داود (٤٧٧٢)، والبيهقي (٨٤٥١)، وحسنه الأرناؤط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (٧٤٢/٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٤٢).

من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج [٣٣٧]، قال علي القاري رحمه الله تعالى: يعني من ركب البحر وأصابه دوران، فله أجر شهيد إن ركبه لطاعة كالغزو والحج وتحصيل العلم أو للتجارة، إن لم يكن له طريق سواه أهـ [٣٣٨].

وروى راشد بن حبيش ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (القتل في سبيل الله شهادة، والطاعون شهادة، والغرق شهادة، والبطن شهادة، والحرق شهادة، والسيل، والنفساء يجرها ولدها بسررها إلى الجنة) [٣٣٩]، والسيل هو المطر الغزير الذي يسيل على الأرض ويجري، والمراد الذي يغرق في ماء السيل، كما قال الساعاتي في الفتح الرباني.

٦- المبطون وصاحب الهدم

لما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله) [٣٤٠].

٧-المحروق والمرأة الحامل والنفساء

لما رواه جابر بن عتيك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة) [٣٤١].

والمبطون هو الذي يشكو بطنه، والمرأة تموت بجمع أي تموت وولدها في بطنها وقيل هي المرأة البكر، وقد جاء حديث آخر بأن المرأة إذا ماتت بعد الولادة وأثناء النفاس فهي شهيدة بإذن الله تعالى، حيث روى عبد الله بن بسر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (القتيل

---

(٣٣٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (٤٠١/٧).

(٣٣٨) المرجع السابق.

(٣٣٩) رواه الإمام أحمد-الفتح الرباني- (٣٧/١٤)، والطيالسي (٥٨٢)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٦١٧٧)، ووافقه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣٩).

(٣٤٠) رواه الإمام أحمد-الفتح الرباني- (٣٩/١٤)، والبخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (١٩١٤)، والترمذي (١٠٦٣).

(٣٤١) رواه الإمام أحمد-الفتح الرباني- (٣٨/١٤)، ومالك في الموطأ (٢٣٣/١)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٥)، وابن ماجه (٢٨٠٣)، وابن حبان (٣١٩٠)، والبيهقي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٣٩).

في سبيل الله شهيد، والمبطون شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، والنفساء شهيدة)[٣٤٢].

٨-**الموت بمرض السِّل**

لما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (السِّلُ شهادة) [٣٤٣]، والسِّلُ مرض يصيب الرئة.

العمل الثاني والعشرون: قراءة سورة الإخلاص عشر مرات

فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتا في الجنة)[٣٤٤]، وفي رواية: (من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرا في الجنة) [٣٤٥].

وفي رواية فيها زيادة عند الإمام أحمد فيها ضعف (من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرا في الجنة)، فقال عمر بن الخطاب: إذن أستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (الله أكثر وأطيب) [٣٤٦].

فمثل هذا العمل يمكن أن يقوم به عامة الناس وفي كل وقت شاؤوا، فهو عمل غير مقيد بزمان أو مكان، فيمكن أن تقوله أخي المسلم أكثر من مرة، لتكسب بإذن الله وكرمه عشرات القصور في اليوم الواحد، وفضل الله لا يحده حد.

انشر هذا الحديث بين الناس، أرسله إلى أصدقائك وأحبابك في رسالة عبر الهاتف الجوال على الأقل، وحثهم على تطبيقه، تكسب بعددهم قصورا في الجنة بإذن الله.

لقد أعجبني أحدهم حينما أرسل رسالة جوال كتب فيها:

---

(٣٤٢)رواه النسائي (٣١٦٣)، والطبراني في الكبير (٩٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٤١).

(٣٤٣)رواه ابن حبان، والديلمي، والطبراني في الكبير (٦١١٥)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٤٨٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩١).

(٣٤٤)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣٤٧/١٨)، والطبراني في الكبير واللفظ له (٣٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٢)

(٣٤٥)رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٣٤٧/١٨)، وابن السني في اليوم والليلة (٦٩٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٨٩)

(٣٤٦) رواه الإمام أحمد-الفتح الرباني-(٣٤٧/١٨)، والدارمي (٣٤٢٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٨٩٣).

((هل تريد قصرا في الجنة؟ فعن معاذ بن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ قل هو الله أحد، عشر مرات، بنى الله له بيتا في الجنة)، رواه الإمام أحمد وصححه الألباني، اعمل به ثم أرسله لكل أحبابك)).

فمثل هذه الرسالة لا تكلفك شيئا، وإنما ترفعك إلى مقام الداعين إلى الله عز وجل، وتنال بها ثواب كل من عمل بهذا الحديث، فتكثر قصورك بإذن الله تعالى.

وإن من ثواب سورة الإخلاص أن من قرأها وجبت له الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلا يقرأ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد**﴾ فقال رسول الله ﷺ: (وجبت)، فسألته ماذا يا رسول الله؟ فقال: (الجنة)، فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إليه فأبشره، ثم فَرِقْتُ – أي خِفتُ– أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ، فآثرت الغداء مع رسول الله ﷺ، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب [٣٤٧].

العمل الثالث والعشرون: دعاء السوق

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يدخل السوق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وبنى له بيتا في الجنة) [٣٤٨].

ولعل هذا الثواب الجزيل لهذا الذكر القصير أُعطيَ لمن ذكر الله تعالى في وقت غفلة الناس في أسواقهم وانشغالهم عن ذكر الله عز وجل في تلك البقاع، ولِماَ يكثر فيها من الغش والحلف الكاذب ونحو ذلك، فأتى هذا الثواب العظيم لمن ذكر الله تعالى ومجَّده في ذلك الموطن؛ الذي هو شر بقاع الأرض، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أن ثواب الله تعالى يعظم في مواطن الغفلة [٣٤٩].

---

(٣٤٧)رواه الإمام مالك واللفظ له (٤٨٤)، وأحمد –الفتح الرباني– (٣٤٧/١٨)، والترمذي (٢٨٩٧)، والنسائي (٩٩٤)، والحاكم (٢٠٧٩)، وصححه الأرناؤط في جامع الأصول (٤٨٩/٨)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٧٨).

(٣٤٨)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٥٦/١٤)، والترمذي (٣٤٢٩)، وابن ماجه واللفظ له (٢٢٣٥)، والدارمي (٢٦٩٢)، والحاكم (١٩٧٦)، والطبراني في الكبير (١٣١٧٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٣١).

(٣٤٩)جامع العلوم والحكم لابن رجب (٥٢٣/٢).

وأما أنت يا صاحب المتجر الذي ترتاد السوق في اليوم مرة أو مرتين، فإن أمامك هذه التجارة الرابحة؛ لتفوز بأجور عظيمة من أهمها: قصر أو قصرين كل يوم، فكم قصر فرط منك حتى اليوم بتركك لهذا الذكر؟ فحري بك أن تعوض ما فاتك بالمواظبة على هذا الذكر كلما دخلت سوقك.

لقد بلغ حرص بعض الصالحين على ثواب هذا الدعاء أنه كان يذهب إلى السوق وليس له في السوق حاجة، سوى قول دعاء دخول السوق، ثم ينصرف، لعله ينال هذا الثواب العظيم، حيث روى محمد بن واسع رحمه الله تعالى قال: قدمت مكة فلقيت بها أخي سالم بن عبد الله فحدثني عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: (من دخل السوق... الحديث)، قال: فقدمت خراسان فلقيت قتيبة بن مسلم فقلت: إني أتيتك بهدية فحدثته، فكان يركب في موكبه فيأتي السوق فيقوم فيقولها ثم يرجع [٣٥٠].

العمل الرابع والعشرون: الأعمال التي ترفع درجتك في الجنة

هناك ما يربو على ستين عملا من الأعمال الصالحة التي ترفع من درجة العبد في الجنة، فلنحرص عليها كل الحرص، فكلما ارتفعت درجة العبد في الجنة زاد نعيمه وملكه وزادت قصوره [٣٥١].

العمل الخامس والعشرون: السمسرة على قصور الجنة

يعتبر السمسار في السوق العقاري وسيطا بين البائع والمشتري، ويُعطى نسبة معينة على كل أرض أو بيت سعى في بيعه أو أجَّره لصالح مالكه، ولله المثل الأعلى؛ فإن مالك الجنة هو الله عز وجل، وهو بائع قصورها، وأما السمسار لهذه القصور فهو أنت إن شئت ذلك، لتدل الناس على الطرق الميسرة لامتلاك قصور في الدار الآخرة، وأما نسبة أرباحك، فلك بكل قصر تدل عليه؛ قصرا مثله من أكرم الأكرمين، وذلك لما رواه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أُبْدِعَ بي – أي انقطع بي السبيل لموت دابتي – فاحملني فقال: (ما عندي)، فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على

(٣٥٠) سنن الدارمي (٢٦٩٢).

(٣٥١) انظر كتابي: كيف ترفع درجتك في الجنة؟

من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) [٣٥٢]، وفي رواية عن أنس بن مالك ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل يستحمله، فلم يجد عنده ما يتحمله، فدله على آخر فحمله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: (إن الدال على الخير كفاعله) [٣٥٣].

فإذا أردت الظفر بأكبر قدر ممكن من القصور في دار المقامة، فأرشد الناس والأرحام والأصدقاء على طرق كسب هذه القصور.

واعلم أن المحروم من حرم نفسه من الدعوة إلى الله عز وجل، ولم يشارك في دعوة الناس وتعليمهم أمور دينهم، فإياك أن تقصر الخير على نفسك، فيقل أجرك ويقل عدد قصورك، وتأمل في قصة رسالة الجوال المذكورة في العمل الثاني والعشرين وكيف أصبح صاحبها داعية إلى الله بأسهل الطرق.

أرأيت لو طُلب منك أن تبني لنفسك قصرا بمفردك، فإنك ستحتاج إلى بضع سنوات، ولكن لو استعنت بعمالة ماهرة ليبنوا معك ويساعدوك، فإنك ستنجزه بأقل من ذلك بكثير، وكلما زدت من عدد العمال، فإنك ستنجز بناءه في فترة أقل، وإذا أردت أن تبني لك قصورا كثيرة فإنك ستحضر آلاف العمال ليبنوا لك عشرات القصور في آن واحد، فكذلك مع قصور الجنة، فبإمكانك أن تبني لك آلاف القصور في الجنة في أقصر فترة ممكنة من عمرك، وذلك بالقيام بتعليم الناس كيف يبنوا لأنفسهم قصورا في الجنة، والدال على الخير كفاعله، لا ينقص من أجر العامل شيئا.

إن تعليم الناس ودعوتهم للخير عامة ولمثل هذا الموضوع خاصة هو من أسهل الطرق وأسرعها لتكثير قصورنا، فكن سمسارا على قصور الجنة تصب خيرا عظيما من مالكها جل جلاله، فهو الغني الحميد وفعَّال لما يريد، يرزق من يشاء بغير حساب.

---

(٣٥٢)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٧١/١٩)، ومسلم واللفظ له (١٨٩٣)، والترمذي (٢٦٧١)، وأبو داود (٥١٢٩)، وابن حبان (١٦٦٨)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٢).

(٣٥٣)رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٦٦/١٩)، والترمذي واللفظ له (٢٦٧٠)، والطبراني في الكبير (٦٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٠٥).

الخلاصة

أولا: ضرورة الإكثار من قصور الجنة لأن الجنة فيها قيعان وقد أمرنا بزرعها وعمارتها، وقد تم ذكر المقصود بالقيعان في أول الكتاب.

ثانيا: إن الذي يقرأ أوصاف الجنة ويعيش بروحه ووجدانه داخلها ويعتقد أن له فيها أملاكا وقصورا وزروعا أنشأها بأعمال صَرَفَ عليها جُلّ وقته، وهو ينتظرها وتنتظره، سيترتب على هذا بلا شك زهده في الدنيا، وحبه للقاء الله عز وجل؛ ليرى ما قدم لنفسه، فلا غرابة إذاً من جواب أبي حازم الأعرج رحمه الله تعالى حينما سأله سليمان بن عبد الملك: مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب[٣٥٤].

ثالثا: هذا الموضوع باب لطيف في المنافسة على أعمال الآخرة، لا سيما أن الناس جُبلوا على حب معرفة مقدار الثواب على كل عمل يَقدمون على فعله، قال عبد الله البراثي رحمه الله تعالى: من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال [٣٥٥].

رابعا: هذا الموضوع يساعد على تخفيف هموم الفقراء وميسوري الحال الذين لم يستطيعوا الحصول على أرقى المساكن أسوة بإخوانهم الأغنياء، فهو وسيلة فعَّالة لتقليل حسدهم للأغنياء على ما آتاهم الله من فضله، بأن يؤمنوا أن لهم عند الله قصورا هي خير من قصور الأغنياء في الدنيا؛ إذا صبروا على أقدار الله تعالى وقاموا بهذه الأعمال الصالحة التي حث عليها المصطفى ﷺ، وفضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

خامسا:إياك والاغترار بكثرة قصورك ومزارعك التي قد تكتب لك بإذن الله تعالى وتحصل عليها بالأعمال الصالحة المذكورة آنفا، فتظن أنك ستدخل الجنة بعملك وجهدك، ولقد جاء عن النبي ﷺ حديثا يحد من الاغترار بكثرة العمل الصالح أو الاتكال عليه، حيث روى عتبة بن عبد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(**لو أن رجلا يُجرُ على وجهه من يوم وُلد إلى يوم يموت هرما في مرضاة الله تعالى، لحَّقره يوم القيامة**)** [٣٥٦].

---

(٣٥٤)صفة الصفوة لابن الجوزي (٤٢٧/١)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٢٣٤/٣).

(٣٥٥) صفة الصفوة لابن الجوزي (٥٦٦/١).

(٣٥٦)راه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٤٦/٢٤)، والطبراني (٣٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٤٩).

سادسا: إذا فرحت بحسناتك فخف من سيئاتك، فعندما نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١]، ذكر أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا له منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار؛ ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [٣٥٧].

فلا تغتر بأنك ستمتلك بيوتا كثيرة في الجنة بإذن الله، فهناك من الذنوب ما قد يحبطها والعياذ بالله، فتبقى تلك المنزلة بقصورها وحورها وحدائقها وأنهارها ويُذهب بصاحبها إلى النار، ويرثها غيره؛ لذا فإن المحافظة على هذه القصور والزروع، تستلزم ترك المعاصي خاصة تلك المحبطة للأعمال، وهذا أمر مهم وخطير ينبغي عدم الغفلة عنه.

سُئل ابن تيمية رحمه الله تعالى عن رجل أسلم يعمل عملا يستوجب أن يبنى له قصر في الجنة، ويغرس له غراس باسمه، ثم يعمل ذنوبا يستوجب بها النار، فإذا دخل النار؛ كيف يكون اسمه أنه في الجنة وهو في النار؟ فأجاب رحمه الله تعالى بقوله: إن تاب عن ذنوبه توبة نصوحا، فإن الله يغفر له، ولا يحرمه ما كان وعد بل يعطيه ذلك، وإن لم يتب وزنت حسناته وسيئاته، فإن رجحت حسناته على سيئاته كان من أهل الثواب، وإن رجحت سيئاته على حسناته كان من أهل العذاب، وما أُعد له من الثواب يحبط حينئذ بالسيئات، التي زادت على حسناته، كما أنه إذا عمل سيئات استحق بها النار، ثم عمل بعدها حسنات تذهب السيئات والله أعلم اهـ[٣٥٨].

سابعا: إن كنت حريصا على تكثير قصورك في دار النعيم، فاحذر كل الحذر أن تبني لك مثلها في دار الجحيم، ومن بُنى له مثل هذه الدور؛ يوشك أن يسكنها، ويقيم فيها طويلا والعياذ بالله.

لقد حذر المصطفى ﷺ من كبائر الذنوب وبيَّن أن عقاب بعضها هو بيت في النار والتي منها:

١. الكذب على النبي ﷺ متعمدا، وأن الذي تسول له نفسه لمثل ذلك العمل سيبني لنفسه بيتا في النار، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن

---

(٣٥٧) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢٣).

(٣٥٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٣٠٨/٤).

الذي يكذبُ عليَّ يُبنى له بيت في النار)[٣٥٩].

٢. حب قيام الناس لك تعظيما، فقد روى أبو مِجْلَز رحمه الله تعالى أن معاوية ﷺ خرج وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قعود، فقام بن عامر وقعد بن الزبير وكان أوزنهما، قال معاوية: قال النبي ﷺ: (من سره أن يَمْثُلَ له عباد الله قياما؛ فليتبوأ بيتا من النار) [٣٦٠].

٣. أخذ شبر من أرض مسلم بيمين فاجرة، فقد روى الحارث بن البرصاء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وهو يمشي بين جمرتين من الجمار وهو يقول: (من أخذ شِبرا من مال امرئ مسلم بيمين فاجرة فليتبوأ بيتا من النار) [٣٦١].

---

(٣٥٩)رواه الإمام احمد واللفظ له –الفتح الرباني– (١/١٨١)، وابن حبان (١٠٥٢)، والطبراني في الكبير (١٣١٥٣)، وأبو يعلى (٥٤٤٤)، والبزار، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٩٤).

(٣٦٠)رواه البخاري في الأدب المفرد واللفظ له (٩٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٤٨).

(٣٦١)رواه ابن حبان واللفظ له (٥١٦٥)، والطبراني في الكبير (٣٣٣٠)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥١٤٣).

الخاتمة

خطط لمستقبلك

يخطط كثير من الناس لدنياهم ولمستقبلهم الدنيوي، ويحلمون ببيوت وقصور يتمنون الإقامة فيها، ويبذلون الغالي والنفيس من أجل تحقيق أحلامهم فيها، وإذا كان الحال كذلك، فعلى المؤمن الكيس الفطن أن يخطط للدنيا والآخرة، وذلك بقدر بقائه في كل مرحلة، ولهذا جاء رجل إلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى فقال: أوصني، فقال سفيان: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها [٣٦٢].

قال الشاعر:

لا دار للمرءِ بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

أيها القارئ الكريم، إن رسولنا ﷺ تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فقد أمرنا بأعمال، ونهانا عن أخرى، أمرنا بأعمال وأقوال تمحي ذنوبنا، وبأعمال وأقوال تزكي نفوسنا، وبأعمال وأقوال تؤهل لدخول الجنة، وبأعمال وأقوال تحجبنا عن النار وتقينا منها، وبأعمال وأقوال تظلنا تحت ظل العرش إلى انقضاء حسابنا، وبأعمال وأقوال يغرس لنا فيها غراس في الجنة، وبأعمال وأقوال ترفع درجاتنا، وبأعمال وأقوال يبنى لنا بها قصور في الجنة، وغير ذلك كثير.

فهل تعرفنا على هذه الأعمال والأقوال؟ هل سألنا عنها؟ فإنها ما شرعت إلا لنا وليس لغيرنا، هل قَصَّر معنا هذا النبي الكريم ﷺ ؟ ألم يدلنا على أبواب الخير وحثنا على ولوجها؟ وأنذرنا من أبواب الشر وحذرنا من دخولها؟ ماذا سنقول له يا ترى إذا واجهناه يوم القيامة؟ وبأي عذر سنجيبه يوم يقول الله للناس أجمعين: ماذا أجبتم المرسلين؟ قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

فبادر إلى سنته ﷺ وعض عليها بالنواجذ، وسابق بها غيرك لتفوز برضا الرحمن وترقى أعلى الجنان، ثم حَدِّث بها عامة الناس، لعل الله أن يهدي بك رجلا واحدا تعتق بسببه من النار.

---

(٣٦٢) حلية الأولياء وطبقت الأصفياء لأبي نعيم (٥٦/٧).

تأمل في الأعمال التي بشر أصحابها ببيوت في الجنة، وفي الأعمال التي بشر أصحابها بالقصور في الجنة، وفي الأعمال التي بشر أصحابها بالمساكن الطيبة في الجنة، وفي الأعمال التي بشر أصحابها بالقصور الشاهقة (الغرف) في الجنة، وتخير منها المساكن التي ترغب امتلاكها، وإن كان لك همة عالية فحاول امتلاكها كلها؛ وما ذلك على الله بعزيز.

تخيل نفسك يا أُخيَّ أنك ستدخل الجنة الآن وقد انتهت الدنيا بسلام، وانتهى مشهد الحساب والصراط وأهوال يوم القيامة الكبرى، وأن الجنة الآن أمامك قد أطلت بأسوارها وأبوابها وأنوارها وحورها وقصورها ورائحتها – التي توجد من مسيرة خمسمئة عام [٣٦٣] – والملائكة يستقبلونك أنت مع ملايين الناس الذين يتزاحمون للدخول من بواباتها الثمانية العملاقة، التي ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاما، أي سعادة ستغمر هؤلاء الناس يا ترى؟ وأي بهجة سيشعرون بها حين دخولهم الجنة، ليروا قصورهم التي بنوها، والأشجار التي زرعوها، والحور اللاتي وعدوا بهن!

هنيئا ثم هنيئا لهؤلاء بما أسلفوا في الأيام الخالية، وبما عملوا في الدنيا وجاهدوا أنفسهم وصبروا وصابروا، فكانوا في النهاية من المفلحين. هذه عاقبة المتقين، وهذا هو وعد أرحم الراحمين، لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، والحمد لله رب العالمين.

---

(٣٦٣)روى أبو بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا فِي عَهْدِهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ) [رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١١١/١٤)، وابن حبان واللفظ له (٧٣٨٣)، والحاكم (١٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٩٢).

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الحاشية
لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت	٨٤
لو أن رجلا يُجرُ على وجهه	٣٥٦
لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا،	٥٨
لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله	١٣٨
لو مات هذا على حاله هذه؛ مات على غير	١٨٦
المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه	١٥٠
ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة	٢٧٤
ما أُمرت بتشييد المساجد	٢٦٤
ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع	٢٧٢
ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على	٢٨٨
ما حملكم على ما فعلتم؟	٢٤٧
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا	٢٣٠
ما عندي	٣٥٢
ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب	٨٥
ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب	٢٤٩
ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب	٣١٤
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي	١٦٦
ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول	١٢٢
ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا	٢٨٥
ما منكم من أحد إلا له منزلان	٢٣-٣٥٧
ما نقصت صدقة من مال	١٦٢
ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا	١٣٢
المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد	٣٣٦
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	١٥٠
مَرَّ رسول الله ﷺ بِقُبَّةٍ على باب رجل من الأنصار فقال	٥١
المراء في القرآن كفر	٢٢٥
المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه	٢٤٢
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	٣٠٩

رقم الحاشية	الحديث
١٥٥	يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله
٢٩٨	يا رسول الله من أسلم معك
٧٩	يا رسول الله: هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه
١١٢	يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل والرفق
٢٩٧	يا محمد عش ما شئت فإنك ميت
١٦٥	يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن
٩٣	يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا
١٦٨	يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَجٌ
١٦٠	يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى
٨٢	يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة
١٨	يَخْلُصُ المؤمنون من النار، فَيُحْبَسُونَ على
٥١	يَرْحَمُهُ الله يرحمه الله
٢١٢	يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة
١٢٣	يقول الله سبحانه: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى
١٦٧	يقي أحدكم وجهه حر جهنم أو النار

جدول المحتويات